

القات.. الأضرار الفادحة والحلول الناجحة



تأليف:

إبراهيم أحمد الجبيلي

القات . .

الأضرار الفادحة والحلول الناجحة

القات..

الأضرار الفادحة، والطول الناجحة

تأليف:

إبراهيم أحمد الجُبُحي



حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع في دار الكتب بصنعاء (٤٥٦) لسنة: ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م.

الطبعة الأولى: ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م.

لوحۃ الغلاف:

للفنانة سامية مجاهد الشرحي.

الهراجعة والإخراج الفني:

سلطان نعمان البركاني

إهداء:

- إلى إخواني وزملائي وأحبابي في الله .
 - إلى من عرفتهم وعشت معهم أسعد أيام حياتي،
فمضوا إلى ربهم وتركوني .
 - إلى روح من مرباني صغيراً، وتعهداني كبيراً، والدي
ووالدتي، يرحمهما الله .
 - إلى أسرتي وإخواني .
 - إلى أبناء أمتي .
- أهدي هذا الكتاب ..

شكر وتقدير:

أحمد الله تبارك وتعالى، حمداً كما يحب ويرضى، حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره شكراً كثيراً، ملء السماوات والأرض، فهو سبحانه ولي كل نعمة، وبنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، الرحمة المهداة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

امثالاً لتوجيه النبي الكريم، عليه صلوات الله وسلامه، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ». أرى من الواجب أن أسجل جزيل شكري، وفائق تقديري، لكل من أولاني معروفاً، بتوجيه أو تشجيع، خلال إنجازي لهذا العمل، وخاصة الأستاذ القدير سلطان نعمان البركاني، المراجع والمخرج الفني لهذا الكتاب، والذي كان له الفضل الكبير بتشجيعه ونصحه وتوجيهه لي في كثير من المواضيع.

ولسائر أهل الفضل عليّ، أقدم شكري وتقديري، ودعائي لهم بمزيد من فضل الله تعالى وحسن الختام، وأن يجمعنا كلنا في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، إنه قريب مجيب.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين..

مقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتب على نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً، وجعل من شريعته فرقاناً بين الحق والباطل، وأقام لعباده حدوداً بين مهالك الأهواء، ومسالك المصالح الفطرية النافعة، وأمرهم أن يحضوا قصدهم إلى مرضاته، وأن يكون قصدهم تبعاً لقصده، وسيرهم وفق شريعته، {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (١).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليفه، المبعوث رحمة للعالمين، أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمّة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اهتدى بهديه، وسار على سنته، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

(١) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

وبعد:

فمنذ فترة طويلة في حياتي، وأنا تثير انتباهي ظاهرة عامة منتشرة في أوساط الشعب اليمني، أصبحت تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات، وهذا الشعب من بقية شعوب الأرض، إلا فيما ندر، إنها ظاهرة تثير كل زائر وداخل إلى اليمن، تثير فضوله واستغرابه واندعاشه، بل وربما الشفقة على ما ضغي القات، إذ قد يحسبهم بهم مرضى، وعندهم أورام في الوجه.

هذه الظاهرة، هي ظاهرة مضغ القات من قبل معظم أبناء الشعب اليمني، وهي ليست بالظاهرة المستحدثة أو الوافدة على المجتمع اليمني منذ أمد قريب، بل هي ظاهرة ضاربة جذورها في عمق حياتنا نحن أبناء الشعب اليمني منذ أمد بعيد، من مئات السنين، يتوارثها جيل بعد جيل.

لقد تفشت هذه الظاهرة، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، واتسع نطاقها لتشمل وتضم فئات المجتمع اليمني رجالاً ونساءً، وحتى أطفالاً.

إن هذه الظاهرة لا تشكل موروثاً ماضياً يعبث بحاضرنا فحسب، بل تلقي ظلالها أيضاً على مستقبل أجيالنا.

وقد أنقسم الناس في المجتمع حيال هذه الظاهرة إلى فريقين، واتخذوا منها موقفين، فريق مؤيد ومناصر ومتعاطٍ للقات، زراعة ومضغاً، ويرى أنه لا بأس، وليس هناك مشكلة أو ضرر في تعاطي القات وزراعته.

وفريق آخر معارض لظاهرة تعاطي القات، ويرى أنها مشكلة عويصة وخطيرة، وأنها من أسباب تخلف اليمن، وما يعانيه من أمراض ومشاكل كثيرة ومتنوعة، وأن شعبنا بكامله صار مرتهناً وحبيساً لهذه الشجرة، وأسيراً منقاداً لا يستطيع الفكك منها.

إن ظاهرة القات في بلدنا اليمن تستحق الدراسة والبحث المتوازي والمتتابع؛ الدراسة الموضوعية العلمية المتزنة المنصفة؛ الدراسة العقلانية التي تتسم بالأمانة والدقة والإنصاف، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تشدد ولا انحياز.

إن هذه الظاهرة لم تلق من الجهات الرسمية في الدولة الاهتمام المناسب لحجمها، فلم تشكل مراكز لدراستها، ولم تكوّن اللجان للبحث عنها، بل الواضح والملموس هو الإهمال المتعمد، بل واللامبالاة، إن لم يكن التشجيع لها.

وكذلك من الجهات الشعبية والأهلية، نجد نفس الموقف، وهو عدم الاهتمام اللازم، وبأذن الله تعالى، سوف أقوم، وبهذا الكتاب:

(القات.. الأضرار الفادحة، والحلول الناجحة)، سوف أقوم بالإجابة عن ما يثار حول هذه الظاهرة، ظاهرة القات، مبيناً آثارها السلبية والإيجابية المختلفة، من صحة اقتصادية واجتماعية، ودينية وسياسية، ما أمكنني ذلك.

متحرباً الأمانة في النقل والعرض، ما استطعت إلى ذلك، دون تحيز لفريق دون آخر، إلا أن أرى ما يرجح ويقوي رأي فريق على آخر.

راجياً من الله تعالى أن أكون بجهد هذا، وهو جهد المقل، أن أسد ثغرة في المكتبة العربية اليمنية، وأن يستفيد من كتابي هذا القارئ الذي يحب الحقيقة.

والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف..

الفصل الأول

اللقاءات ..

• القات.. مواطنه، والاحتياجات البيئية لزراعته:

○ لمحة تعريفية بالقات:

يعرف القات بأنه: نَبَاتٌ مِنْ فَصِيلَةِ الْقَاتِيَّاتِ، يُزْرَعُ فِي الْيَمَنِ، وَتُصْنَعُ أَوْاقُهُ خَضِرَاءَ، وَهُوَ مُنَبِّهٌ وَمُخَدِّرٌ فِي حَالَةِ الْإِكْثَارِ مِنْ مَصْغِهِ، كَمَا يُصْنَعُ مِنْ تَقْطِيرِ ثَمَارِهِ عَصِيرٌ^(١).

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة: قات أو كاط، ويسمى شاي العرب، اسمه العلمي: (سبيلاسترس أويوليس) في الفصيلة السلاسترية، موطنه بلاد الحبشة، ويزرع بكثرة في اليمن. النبات جنبه تزرع لأوراقها التي تمضغ خضراء، كما في نبات الكولا، وتمضغ الأولى في اليمن بكثرة، فتحدث رؤى وأخيله غريبة، قليلها منه وكثيرها مخدر، والبرية منها أقوى مفعولاً من البستانية، ويعمل منها منقوع، كما في بلاد الحبشة، ويتكاثر النبات بالبذور^(٢).

وجاء في الكافي، إن القات: شاي العرب، وهو جنبه برية وزراعية من فصيلة القاتيات، تزرع في اليمن وفي الحبشة، حيث يمصغون

(١) انظر: معجم المغني، ص ٢٠١٣٤.

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، ص: ١٣٥٩.

أوراقها المنبهة، ويستخرجون من تقطير ثمارها مشروباً كحولياً شديداً الوقع على الأعصاب^(١).

وجاء في معجم اللغة العربية: أن القات: نبات من الفصيلة السلسترية، يزرع لأوراقه التي تمضغ خضراء، قليله مُنبّه، وكثيره مخدر، موطنه الحبشة، ويزرع بكثرة في اليمن، ويُسمى شاي العرب^(٢).

وفي التقرير الذي كتبه الدكتور عبد الحكيم حكمت، رئيس الهيئة الطبية، التي كلفت من قبل السلطان عبد الحميد الثاني، (الذي حكم من عام ١٨٧٦ - ١٩٠٩م)، بزيارة خمس من الولايات العثمانية، ومنها اليمن، ابتداءً من سنة ١٨٨٧م، ولمدة ثلاث سنوات ونيف، حيث يقول التقرير، والذي جاء في الجزء المتعلق بولاية اليمن:

"القات: في علم النبات، سلالة هذا النبات من فصيلة ما يسمى: (عرفية الرهبان)، وهو شجرة خالدة، وهو النبات الذي يطلق عليه (جلاسكروب أدوليس)، طول هذا النبات، من: (٢-٤م)، أوراقه بيضوية، وحوافها مسننة، وطولها: (٢-٧) عشرين زراعي، وعرضها: (١-٤) عشرين زراعي^(٣).

(١) الباشا، محمد، الكافي "معجم عربي حديث"، ص ٧٧٠.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية، عالم المعرفة، المجلد السابع، ص ٩٦٠.

(٣) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

○ البلدان التي يزرع فيها القات:

شجرة القات، موجودة في أكثر من مكان، وأول ذكرها في الكتب التاريخية، كان في القرن الحادي عشر، في كتاب (البيروني) حول الطب، كنبات طبي، فقد ذكر (البيروني) أنه موجود في منطقة في آسيا اسمها (تركستان)، وذكر أخيراً في منطقة (الحبشة)، وإلى جانب وجود القات في شرق أفريقيا، الحبشة (أثيوبيا، وأرتيريا)، يوجد في اليمن، وفي بعض مناطق جنوب أفريقيا، حيث ينتشر في: وترنسفال، ورأس جنوب أفريقيا، وناتال، ومدغشقر، وزيمبابوي، ونياسلاند، وتنزانيا، وأوغندا، وكينيا، وتركيا، وأفغانستان.

* * *

○ الاحتياجات البيئية لزراعة القات:

القات من النباتات الطبيعية، يوجد بصورة جلية في عدد من المناطق الجبلية الرطبة نسبياً، ويجود نموه مرافقاً للصنوبريات على المنحدرات الرطبة تماماً، ولا تتطلب زراعة القات تربة عالية الخصوبة، وله القدرة على تحمل الجفاف، ويزرع القات عادة في الأراضي المرتفعة، وفي المناطق ذات المناخ القاسي، (وشبه القاسي)، أو الأمطار المحدودة، التي تقل كمية الأمطار فيها عن (٨٠٠) ملم في السنة؛

حيث يكون المحصول ضعيفاً، ويلزمه الري من آن إلى آخر، حتى يمكن الحصول على إنتاج مرتفع، وبالتالي دخل كبير^(١).

وهنا يجدر بنا أن ننقل عن الدكتور إسماعيل محرم، وهو من المتخصصين في البحوث الزراعية، فقد ذكر في ما يتعلق بالبيئة اللازمة لزراعة القات، فبدأ بالمناخ الصالح لزراعة شجرة القات؛ إذ قال ما فحواه، إن بعض الدراسات تشير أن القات ينمو على ارتفاع ١٨٠٠ - ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر. وأن دراسة أخرى تشير إلى أنه ينمو على ارتفاع ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر. وأن بعض الباحثين في هذا الشأن، يرى أن المنطقة الملائمة لزراعة القات هي: (١٥٠٠ - ٢٠٠٠ متر) فوق سطح البحر، وأن الحد الأعلى هو: (١٢٠٠ - ٢٥٠٠ متر). وأن بعضهم أشار إلى أن القات يزرع في اليمن على ارتفاع: (١٠٠٠ - ٢٢٠٠ متر).

أما الباحث رفري، من خلال البيانات التي جمعها من ١٤ محطة أرصاد جوية، متوزعة على دول شرق وجنوب شرق أفريقيا، بالإضافة إلى اليمن، فقد ذكر أن القات ينمو في المناطق التي تقع بين ١٢٠٠ - ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر، ومتوسط درجة الحرارة في هذه

(١) المصدر السابق.

المناطق تتراوح بين ١٦ - ٢٤ م، وكمية الأمطار الساقطة تتراوح بين ٢١٣ - ١٤١٥ مم.

وبالنسبة للتربة اللازمة لزراعة القات، فتعتبر التربة حديثة التكوين (Entisois)، والتي تكونت عن طريق النقل المائي أو الهوائي، وهي نفس التربة التي تنمو عليها شجرة البن. وتجدر الإشارة إلى أن القات ينمو في الأراضي الهامشية الفقيرة بالمواد العضوية، وكذلك الفقيرة بالنروجين. وتجود شجرة القات في التربة جيدة التصريف، كما أنه يتحمل وجود نسبة عالية من الأحجار والحصى في التربة.

وأما المياه، فإن القات يزرع في الأراضي المطرية والمروية على حد سواء، كما أن بعض المزارعين يعطون القات ريات إضافية أو تكميلية عند الحاجة^(١).

وينمو القات في الغالب في حقول البن، ثلاث أو أربع مرات في السنة، وشروط إنبات القات تشبه شروط إنبات البن، وعلى لأغلب يزرع في حقول البن، وفي البساتين هنا وهناك في أماكن جيدة الحفظ.



(١) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص: ٩، ١٠.

• الجدور التاريخية للقات:

يشير بعض المؤلفين، إلى أن شجرة القات، التي بدأت تأخذ نصيبها من الاهتمام العلمي الجاد، دراسة وتحليلاً، وندوات علمية، ليست حديثة العهد، فقد وجدت منذ أزمنة قديمة، ربما يصعب تحديد زمان ومكان تواجدها لأول مرة بشكل جازم، وأنها كانت معروفة منذ العصور القديمة.

* * *

○ استخدام القات كنبات طبي:

فقد ذكر المؤرخ الإغريقي هومر: "ويروي بأن الإسكندر الأكبر أمر جيشه باستعماله للعلاج من الوباء الذي اجتاح جيشه". ولكن من المؤكد، أن القات عرف واستعمل في هضاب الحبشة؛ حيث وجدت شجرته منذ زمن قديم.

وعن هذا الموضوع في المراجع العربية، فتوجد مخطوطة من القرون الوسطى، ذكر مؤلفها نجيب الدين السمرقندي، (ت ١٢٢٠م)، وجود القات في بلاد اليمن، واستعماله كعلاج للكآبة والحزن. كما تحدث المقرئزي (١٣٦٤-١٤٤٢م)، عن وجود القات في بلاد الصومال.

ويعتقد أن للقات تأثير في معالجة (٥٠١) حالة مرضية مختلفة، وهذه للغرابة، تعادل القيمة العددية للاسم العربي "قات": (ق - ١ - ت): (١٠٠ + ١ + ٤٠٠)، ولا يوجد عدد وفير من الأبحاث التي تهتم باستخدامه كنبات طبي^(١).

* * *

○ اكتشاف القات كمادة مكيفة ومنشطة:

تعود ظاهرة استهلاك القات واستخدامه، كمادة مكيفة ومنشطة إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وقيل إن أول ذكر له في كتب التاريخ كان في القرن الثالث عشر الميلادي، في بلاد الحبشة، عندما حصلت معارك بين أحد الملوك المسيحيين، وبين طائفة من المسلمين، عندما بدأ الإسلام ينتشر في القرن الثالث عشر في الحبشة، وذكر على أن القات، كان من ضمن القضايا أو المشكلات، التي كانت موجودة أثناء الحرب بين الملك المسيحي وبين المسلمين، الذين بدأوا يعتنقون الإسلام في الحبشة.

* * *

(١) نقلاً (بتصرف) عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

○ بروز القات كمشكلة عالمية:

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، اكتسب القات أهميته العالمية، وصار أثره محسوساً كمشكلة قومية في بعض البلدان، مثل: فرنسا، وبريطانيا العظمى، وإيطاليا، حتى أنها فرضت الحظر على استيراده، وقد أظهر المستهلكون في عدن، عدم رضاهم بالحظر على القات، تجلّى هذا الامتنعاض، خلال خطابات كتبت باللغتين الإنجليزية والعربية؛ لذلك فقد تخلت الحكومة في عدن تدريجياً عن حظر استهلاك القات، ومنذ ١٩٥٦م، أوصت فرنسا وبريطانيا العظمى مراراً إلى لجنة العقاقير المخدرة التابعة للهيئة الأمم المتحدة، بتحريم الاتجار فيه، لأثره التراكمي، وأضراره بالحياة الاجتماعية للناس.

وفي الستينيات من القرن الماضي، أخذت حكومة أثيوبيا بزمam المبادرة، بدراسة المكونات الكيميائية والآثار الحيوية والاجتماعية للقات، وقد كونت لهذا الغرض لجنة تحت رعاية وزارة الصحة، وكلفت الوزارة مؤسسة باستير، ومؤسسة التغذية، والمشتغلين بالطب لإجراء الدراسة.

وقررت السلطات المعنية بالوزارة، بعد فحص تقرير المشتغلين بالطب، ونتائج المؤسستين، استمرار الدراسة العلمية، وإعطائها الوقت

الكافي، هذا بالإضافة إلى الصعوبات في حماية الحدود الطويلة مع الدول المجاورة، قد شجع تهريب القات بكميات متزايدة.

وقد حظيت مشكلة القات، باهتمام اللجنة الاستشارية بعصبة الأمم عام ١٩٣٥م، ونوقشت بدورها من الثانية عشرة إلى السادسة عشرة، ثم أحيلت إلى منظمة الصحة العالمية، حيث أصدرت لجنة من خبراءها، تقريرها الثالث عشر، الذي نشر عام ١٩٦٤م، وتضمن: (إن القات يشبه المواد من فصيلة الأمفيتامينات، وأن الأعراض التسممية الناجمة عن مضغ القات، تشبه تلك التي يسببها سوء استعمال الأمفيتامينات^(١)).

وتحت عنوان: (الأضرار الصحية لنبات القات)، أوضحت لجنة الخبراء في تقريرها أيضاً أن بعض الأضرار الصحية لنبات القات تتمثل في فقدان الشهية، وسوء التغذية، والتعرض للأمراض المعدية: كالسل، وإضعاف القدرة الجنسية لدى الرجال، والتفكك الأسري، وغير ذلك من الأضرار.

كما جاء في قرارات ندوة القادة الإداريين التي عقدت بصنعاء، في الفترة من ١٥ - ٢١ مايو ١٩٧٢م: أن المشتركين في الندوة،

(١) المصدر السابق.

أصدروا بضعة قرارات، تنص على اعتبار القات كارثة وطنية، وتحريم القات بين كافة العاملين بالدولة، واقتلاع أشجاره... إلخ). كما تقرر في المؤتمر الإسلامي العالمي، المنعقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لمكافحة المسكرات والمخدرات، تصنيف القات ضمن قائمة المخدرات^(١).



(١) المصدر السابق.

• القات في اليمن:

○ دخول القات إلى اليمن:

يعتقد عديد من المؤرخين، أن القات من النباتات المستوطنة بأثيوبيا، حيث تشير بعض المصادر إلى أنه دخل اليمن قبل الإسلام، عندما غزا الأحباش اليمن، في القرن السادس الميلادي، حيث قررت هيئة الأغذية والزراعة في عام (١٩٦١م)، أن القات انتقل من أثيوبيا إلى اليمن للمرة الأولى بين القرن الأول والسادس الميلادي، وقد أقر ذلك المؤرخ ابن فيض الله، خلال عهد الملك المؤيد، الذي حكم اليمن من: ١٢٦١م، إلى ١٣٤٢م^(١). وهذا غير صحيح.

فقد ذكر المؤلف روشيه دي هير يكورت: أن إدخال القات إلى اليمن من أثيوبيا تم في عام ١٤٢٩م، بواسطة الشيخ أبو زيرين. بينما تحدث شهاب الدين أحمد بن عبد القادر، وهو من منطقة جيزان بالملكة العربية السعودية (مواليد ١٥٨٠م)، في كتابه: (فتوح الحبشة) عن استعمال القات في اليمن وعدن، وأنه أدخل وزرع بينهما

(١) نقلاً (بتصرف) عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

على يد علي بن عمر الشاذلي عام ١٤٢٤م^(١). وهذا أقرب إلى التصديق.

وهناك رواية أوردها الباحث سلطان نعمان البركاني، في كتاب: (غاية المفتخر في مناقب أعلام وأعيان ذخر): إن أول منطقة في اليمن زرع فيها القات كانت جبل حبشي، ومنها أخذ اسمه، فبعد أن جلبها من بلاد الحبشة إلى اليمن الشيخ علي بن عمر الشاذلي، ساكن المخأ، في القرن التاسع الهجري، وجبل حبشي هو أقرب منطقة جبلية للمخأ، بمقياس وسائل المواصلات في تلك الأيام، وبدأ الناس يتعاطون أغصان هذه النبتة، ومع الأيام زاد عدد المتعاطين لها، فراجت تجارتها، وبالتالي توسعت رقعتها الزراعية في تلك المنطقة، وتبعاً لذلك أصبحت تسمى جبل النبات الحبشي، ثم اختصر الاسم، فصار اسم الجبل الذي شهر بزراعة هذه الشجرة جبل الحبشي، فشاعت هذه التسمية، وانتشرت في ذلك العصر وما تلاه، وكان ذلك بالطبع قبل وصول الأتراك في حكمهم الأول لليمن، وفي تلك الفترة، تم التقسيم الإداري لليمن من قبل العثمانيين، فاعتمد الاسم الجديد (جبل حبشي) رسمياً، بدلاً عن (جبل ذخر)؛ لأن المنطقة التي زرع فيها القات قد شهرت بهذا الاسم الجديد^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) البركاني، سلطان نعمان، غاية المفتخر في مناقب أعلام وأعيان ذخر. (مخطوط).

وما يؤكد هذه الرواية، ما ورد في بعض المصادر، أن القات أدخل إلى اليمن مع البن، وقد جاء في كتاب: (ديوان القهوة)، للأستاذ ماجد بن عدنان الأهدل، ما نصه: لعل من أول الإشارات عن أول الأماكن التي استزرع فيها البن في اليمن، ما جاء في منظومة: (جلب الزبون في مدح البون) لحمزة بن عبد الله الشاهري (ت ٩٢٦هـ)، جاء فيها:

ومنبته في بَرِّ زيلعَ داخلٌ
إلى بلد الأحبوش يزرعُ في الفلا
نعم، أنبتوه في تَعَزَّرَ فأفلحوا
وحبًّا كبُّ الحبش بل كان أفضلاً^(١)

ويقول الدكتور عبد الله علي الزلب: "هناك من المؤرخين والكتاب المعاصرين من يشكك في الظهور المبكر للقات في اليمن خلال القرن الثالث عشر للميلاد، ومن هؤلاء المؤرخ اليمني عبد الله الحبشي، والذي يذكر بأن اليمن لم يعرف القات قبل النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (القرن ١٦م). ويستند الحبشي في ذلك إلى عدم ذكر القات في كتب ما قبل القرن ١٦م، ويستشهد بكتاب الملك الأشرف يوسف بن عمر الرسولي المتوفى سنة (٦٦٥هـ)، والمسمى:

(١) الأهدل، ماجد بن عدنان، ديوان القهوة، ص ٢٢.

(المعتمد في الأدوية المفردة)، ويقول الحبشي: "إن هذا المعجم يضم معلومات كثيرة عن الأعشاب والمعادن الطبية وخواصها المختلفة، وقد خلا هذا المعجم من ذكر القات". ويضيف: "بأن أقدم الإشارات إلى القات، تدل على أنه ظهر لأول مرة في القرن العاشر الهجري (١٧- ١٦م)". أما عن الإشارات الأولى، فيقول: بأنها "مجرد افتراضات وتخيلات لا أساس تاريخي لها".

ويبدو أن الحبشي لم يفرق في أطروحته بين تاريخ ظهور القات وانتشار استعماله في اليمن، وبين أقدم الإشارات التي دلت على وجوده في المصادر التاريخية، فمن المحتمل أن تظهر وثائق تناقض ما ذهب إليه، كما أن عدم ذكر القات في كتاب الملك الأشرف الرسولي، وفي مصادر أخرى في نفس الفترة، لا يعتبر دليلاً قاطعاً مانعاً على عدم ظهور القات في اليمن في تلك الفترة وما قبلها، وذلك لعدة أسباب، أهمها أن يكون القات غير معروف في تلك الفترة كنبات طبي، ولذلك لم يرد في كتاب الأشرف الرسولي، وأن تكون زراعته - كما أسلفنا - محلية، محصورة في مناطق لم تصل للمؤلفين أخبار عنها^(١).

* * *

(١) الزلب، عبد الله علي، ثقافات القات في اليمن.. مقارنة سوسولوجية، ص ٣٧.

○ القات في رحلة البعثة الدانمركية التي زارت اليمن:

بالنسبة للغرب، فقد بدأت ملاحظاتهم عن القات بصورة مؤقتة في القرن الثامن عشر، حينما قامت أول رحلة علمية بأمر من الملك فريدريك الخامس ملك الدانمرك، عام ١٧٦٢م، لمراجعة بعض الوقائع التي ذكرت في الإنجيل، وكان من ضمن العلماء المشاركين في تلك الرحلة، كل من: كارستن نيبور، وهو (عالم جغرافيا)؛ وبيتر فورسكال (عالم نبات)؛ وفون هافين (لغوي)؛ وكرامر (طبيب وعالم حيوان)؛ ولورين فيرنو (مصمم ورسام). وكان فورسكال قبل وفاته، قد تحدث عن العديد من النباتات، ومن ضمنها القات، والذي أطلق عليه اسم: (كاثا أدولوس).

وقد وصف نيبور القات، - وكتبها (القاد) فقد كان ألمانياً -، كبراعم أشجار خاصة يعضغها العرب باستمرار، ويدمنون هذه العادة كثيراً، كما يعضغ الهنود التيمبول، ويعزون للقات خصائص المساعدة على الهضم، وتقوية بنية الجسم ضد العلل المعديّة، حتى أن طعمها غير المستساغ، لا يعطي أي دلالة عن خصائص فوق العادة، والآثار الوحيدة التي شعرنا بها من استعمال هذه البراعم، كانت اختفاء وفساد نومنا. وأضاف أيضاً أن للقات: "تأثير مخفف على بنية الجسم،

واستنتج أنها تبدو من الطراز الذي به تمضغ هذه البراعم فقط ذات طعم غير مقبول".

ولم يلم المتعلمون الأوروبيون بحقيقة أفضل عن ماهية النبات محل السؤال، إلا عند ظهور كتاب كارستن نيور عن رحلاته خلال (شبه الجزيرة العربية والبلاد الأخرى في الشرق): "القات أحد تلك الأجناس الجديدة الخاصة بشبه الجزيرة العربية، تزرع هذه الشجرة التي تجود بالزراعة بين شجيرات البن على التلال التي تنمو فوقها". تلا ذلك أيضاً وصفاً واقعياً عن انتشار استعماله^(١).

* * *

○ كتابات الباحثين الأوروبيين عن القات:

سجل الأوروبيون للمرة الأولى، بدء استعمال أهالي جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) للقات، في أواخر القرن السابع عشر، وكانت أولى هذه التسجيلات التي تم التحقق منها، تلك للمستشرق الفرنسي بارثلمي دي هير بيلو من ملانفيل (١٦٢٥ - ١٦٩٥م)، في مؤلف بعنوان: (مكتبة الشرق).

(١) نقلاً (بتصرف) عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

وذكر دي هير بيلو وصفاً مشوشاً للقات، عندما ذكره تحت عنوان: (قهوة) و (قهفة) (بن). ففي اللغة العربية، تعني هذه الكلمة بصفة عامة جميع أنواع المشروبات، لكنها تنطق أساساً على البن، وهناك أنواع من المشروبات تحمل هذا الاسم، يعني الأول منها: كاهوت ال كاتيات، (ويبدو ذلك تحريفاً لما قد يكون القهوة القاتية) أو كافتاه؛ والثاني: كاهوت ال كشریات (كشر: مشروب من الغلاف الوسطى أو قشور ثمرة البن)؛ والثالث: كاهوت ال بنيات (بن: مشروب من البذور أو الحبوب).

ويواصل دي هير بيلو قوله: "ويصنع الأول من بذرة غير معروفة لدينا، وهي التي حرمها الأطباء بقوة القانون في منطقة اليمن، المعروفة ببلاد العرب السعيدة، وهي فعالة جداً، وتؤثر على المخ".

والواقع أن دي هير بيلو، لم يرتاد مطلقاً مناطق يستعمل بها القات، لكنه كان رجلاً واسع المعرفة؛ حيث خرج بحقيقة، أن القات المشتق من البذور، وغير معروف، وربما يقصد (القهوة القاتية).

وقام جين دي لا روك (١٦٦١ - ١٧٤٥م)، الأديب والرحالة إلى بلاد العرب السعيدة (اليمن)، في بعثة تنشيط تجارة البن إلى فرنسا، بكتابة مؤلف عن رحلاته التي تمت عام (١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠م)، بعنوان: (رحلة إلى بلاد العرب السعيدة)، وهو مؤلف

مفيد بصورة خاصة؛ حيث يهتم بالحياة في جنوب شبه الجزيرة العربية بإسهاب كبير، حيثما ذهبت الوفود المفوضة من قبل الحكومة الفرنسية، على سبيل المثال: عدن والمخأ وصنعاء، ولكن لم يأت أي ذكر في أي مكان عن نمو أو استعمال القات بالتحديد.

ولقد وصف لاروك بإسهاب البعثة الثانية التي قام بها في الأعوام (١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣م) إلى بلاط أمام اليمن، وتضمن بحثه العلمي جزءاً رئيسياً عن شجرة البن وأماكن نشأتها، حيث ذكر في هذا الصدد عالماً عربياً، كتب أن مواطني عدن يغرمون جداً بالبن، لدرجة أنهم أقلعوا عن مشروب كانوا يتداولونه وقتها فيما بينهم، يصنع من أوراق نبات خاص اسمه قات.

ويعتبر بول أميلي بوتا، الطبيب الذي كان يعمل لدى محمد علي والي مصر، من أوائل من أوضحوا كيفية نمو وتسويق واستعمال القات، بعيداً عن الوصف السطحي، رغم أن بوتا لم يتمكن من الوصول إلى صنعاء، ولكن ما يدل على براعته حقاً، أنه تسلق بالفعل جبل صبر، قرب تعز، خلال دراساته قبيل توجهه إلى المخأ، وهذا يعتبر انجازاً بأي معيار في هذه الأيام، وقد نشر بوتا موجزاً، ووصفاً تفصيلياً لرحلته في العام ١٨٤١م.

وقد وجه للقات اهتماماً كبيراً بالبحوث الأوروبية، عقب نشر مؤلفات نيور مباشرة، وعندما قام مارتن فال، أستاذ النبات بجامعة كوبنهاجن في الدنمرك، بدراسة المجموعات النباتية، وقام بنشرها بعنوان: (الرموز النباتية ١٧٩٠ - ١٩٧٤ م). وصنف في ترتيبه العلمي للفلورة قات فورسكال تبع الجنس، وكني القات بالاسم اللاتيني^(١).

* * *

○ أنواع القات في اليمن:

جاء في التقرير الذي كتبه الدكتور عبد الحكيم حكمت، رئيس الهيئة الطبية العثمانية، أن "القات الذي ينبت في اليمن على نوعين، ويطلق على أحدهما (القات الأسود)، والآخر (القات الأبيض)، ومع كونهم من جنس نباتي واحد، إلا أنهم يفرقون ببعض الأوصاف، وعلى الشكل التالي:

القات الأسود: أوراقه خضراء غامقة ولماعة، وساقه وأغصانه سمراء مائلة للاحمرار.

(١) المصدر السابق.

القات الأبيض: أوراقه أصغر وأطول، وألوانها خضراء كاشفة، وأغصانه مغطاة بغبار خفيف ذي لون أبيض.

من هذين النوعين القات الأسود، وهو أكثر انتشاراً واستعمالاً، وحسب ادعاء الأهالي، عندما يلاك القات الأبيض بمقدار كاف، يؤدي إلى السكر، بينما القات الأسود ليس له هذه الخاصية.

الأوراق التوجيهية للقات الأسود بيضاء مصفرة، بينما القات الأبيض صفراء غامقة وأصفر. الأوراق التوجيهية للقات خماسية وقمعية الشكل، والأغصان التذكيرية متعاقبة، والمبيض سائب وعريض، ومندمج بقرص ذي خمسة مواضع، ويحوي بيضتين جانبيتين، إبرتها قصيرة، وعضو التأنيث قصير، والثمار جافة، والحبوب مخفية، وكثيرة السويداء^(١).

كما أن بعض أنواع القات تختلف من حيث حجمها وشكلها وجودتها، ومن ثم قيمتها، باختلاف أماكن زراعتها، وكذلك تسميتها، فبعض أنواع القات تسمى بأسماء المناطق التي تزرع فيها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، القات: (الهمداني، الحبشي، الضّالعي، الصّبري، الأرْحبي، ماوية، مُريسي... إلخ)، والبعض تسمى بأسماء أخرى لا

(١) المصدر السابق.

علاقة لها بالمناطق التي تزرع فيها، مثل: الصّوطي، الدُّحلة، الشّرو، المثنائي، وهكذا.

* * *

○ مناطق زراعة القات في اليمن:

القات متواجد في عديد من المناطق اليمنية، باستثناء المناطق التي تكون الأراضي فيها غير صالحة لزراعته، وهي مناطق سهلية أو صحراوية، مثل: قحمة، وحضرموت، وشبوة، ومأرب، وغيرها من المناطق غير الصالحة لزراعة القات؛ لأن نبتة القات تحتاج إلى تربة معينة، وإلى درجة حرارة معينة، وهذه المواصفات لا تتوفر إلا في المناطق الجبلية، والهضاب والوديان الرطبة والمعتدلة نسبياً، فمثلاً في المحافظات الجنوبية، يوجد القات في محافظة الضالع منذ فترة طويلة، وحتى عندما صدر قرار منع القات، أو قانون عدم تناول القات، إلا في الخميس والجمعة في عام ١٩٧٦م في المحافظات الجنوبية في عدن، هذا القرار عملياً لم ينفذ على الواقع، وبالتالي كان الناس يشتروا القات يوم الخميس والجمعة، ويتركوه في الثلاجات، ويخزنونه طوال الأسبوع في البيت. أيضاً كثير من المسؤولين الذي كانوا في هذه الفترة التاريخية ينتمون إلى منطقة الضالع، وهم أعضاء في المكتب السياسي، وأعضاء في الحكومة في المحافظات الجنوبية، كان غالبيتهم يملكون مساحات شاسعة جداً مزروعة بالقات.

وفي هذا الشأن، يذكر الدكتور إسماعيل محرم، أن زراعة القات في اليمن تنتشر في مناطق:

- واقعة على ارتفاع: (١٢٠٠ - ٢١٠٠ متر) فوق سطح البحر.
- متوسطة درجة الحرارة فيها تتراوح بين: (١٦,٥ - ٢٥م).
- ومتميزة بكمية أمطار تتراوح بين: (٢١٢ - ٥٢٧مم)^(١).

* * *

○ توسع زراعة القات:

أن ظاهرة القات قد أخذت في النمو والانتشار، حتى باتت تشكل في الوقت الراهن نحو ٥٠ بالمائة من قيمة الإنتاج الزراعي، وتستوعب نحو ١٦ بالمائة من حجم العمالة الكلية. كما أحدثت هذه الظاهرة تغييراً في التركيب الاقتصادي والاجتماعي في القرية اليمنية، انطوت على تأثيرات واسعة في قطاعات الاقتصاد المختلفة^(٢).

(١) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص: ٩، ١٠.

(٢) بن غازي، عبد الرحمن، الاقتصاد السياسي للقات والأمن الغذائي، مجلة كلية التجارة والاقتصاد - عدد خاص - أبحاث المؤتمر العلمي الخامس، ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م، العدد: (١٧) سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٢٧٣.

وتوسعت المساحة المزروعة بالقات في حدود أربع مرات خلال الفترة (٧٢-١٩٨٤م) فبلغت نحو ٤٧,٠٠٠ هكتار في عام (١٩٨٢م)، أي ما يعادل ٦٠٪ من المساحة المزروعة بالمحاصيل المستديمة، وكانت المساحة المزروعة بالقات قد شكلت ٩,٧٪، مقابل ٤٩,٣٪ للمحاصيل النقدية والصناعية مجتمعة في عام (٧٧/١٩٧٨م)، واحتلت بذلك ما بين: ٣-٧٪ من المساحة الكلية المزروعة في عام (١٩٧٨م).

وفي حين تشير (مارتا مندي) (١٩٨١م)، إلى أن المساحة المزروعة بالذرة في محافظة "إب"، قد انخفضت بنسبة ٥٠٪، بسبب التوسع في المساحة المزروعة بالقات. يذكر (بتسلر) (١٩٨١م) في دراسته عن التطور والتحول الجذري في زراعة المناطق المجاورة بصنعاء، أن المساحة المروية زادت بمقدار خمسة أضعاف عما كانت عليه، فزرعت ٨٠٪ من حقول الري الجديدة بالقات، و ١٠٪ بالعنب، والباقي بالحبوب، بعد تجهيز الآبار السطحية بمضخات آلية. ويرى (بتسلر) أن القات هو المحصول الزراعي الوحيد، الذي يمكن لحصيلة مبيعاته تعويض هذه النفقات الاستثمارية الباهظة الثمن؛ إذ بلغ عائد الهكتار الواحد المزروع بالقات ٣٣٠ ألف مارك ألماني في العام.

كما تفصح دراسة (أحمد القصير) (١٩٨٥م)، عن قرية (عمد بناحية عيال سريح بمحافظة صنعاء)، أن تلك القرية لم تعرف زراعة القات قبل عام ١٩٧١م، وظلت زراعة القات للسبعينيات تقتصر على مساحة محدودة، وتعتمد في ربيها على الأمطار. وفي عام ١٩٨١م، بدأ حفر الآبار الارتوازية في القرية، فأخذت زراعة القات في الانتشار، ويلاحظ أن جميع هؤلاء الزراع الجدد للقات كانوا من المغتربين في السعودية، وينتمي معظم الذين اتجهوا لزراعة القات والمحاصيل النقدية إلى كبار المزارعين ومتوسطيهم. ويفضي بحث (شيلاووير) (١٩٨٥م) إلى نفس الاتجاه، فيذهب إلى القول بأن ١٥٪ من الحيازات الزراعية، كانت تزرع بالقات في عام ١٩٧٧م في منطقة (رازح)، وفي عام ١٩٨٠م، بلغت تلك النسبة ٣٠٪، وأن نسبة كبيرة من القوى العاملة انحدرت في أنشطة القات^(١).

لقد ظلت مساحة القات تتسع، ونسبته إلى الناتج المحلي الإجمالي لقطاع الزراعة تتعاظم، فقد شكلت هذه النسبة نحو ٣٥٪ في المتوسط، خلال الفترة (١٩٩٠ - ١٩٩٥م)، وفقاً لنشرة الحسابات القومية، ويمكن القول إن هذه التقديرات الأولية، هي تقديرات متحفظة في جانبها الأدنى، وتبتعد عن المغالاة، وقد بلغت المساحة المزروعة بالقات نحو ٨٠ ألف هكتار في عام ١٩٩٠م، لتشكل بذلك

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

٤٨,٧٪ من مساحة الأشجار المثمرة، و ٥٨٪ من مساحة المحاصيل النقدية، في حين لم تشكل مساحة البن سوى ١٥٪، وخلال فترة قصيرة من الزمن، احتل القات مساحة تزيد عن ٩٢ ألف هكتار في عام (١٩٩٥م)، في حين لم تزد مساحة البن عن ١٨٪^(١).

وتقدر المساحة المزروعة بمحصول القات في اليمن بحوالي (١٧٨,٠٠٠ هكتار) في عام ١٩٧٨م، وهو ما يساوي ١١,٧٥٪ من إجمالي المساحة المزروعة. وتشير بعض الدراسات، بأن مساحة زراعة القات في اليمن، قد ازدادت بنسبة ١١,٨٪ في عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤م، عن المساحة المزروعة في ٧٢ - ١٩٧٣م، وهي نفس النسبة التي انخفضت فيها المساحة المزروعة بالذرة. ويشير رفري (١٩٨٣م)، إلى أن المساحة المزروعة في المحافظات الشمالية لليمن كانت حينذاك حوالي (٨٤ ألف هكتار)، أو ما يوازي ٤,٤٪ من المساحة المزروعة. بينما يقدرها السعدي في عام ١٩٨٣م، بحوالي (٩٠ ألف هكتار)، وكتاب الإحصاء الزراعي بـ (٤٧ ألف هكتار) في نفس العام. ووصلت في عام ١٩٩٠م إلى (٨٠ ألف هكتار)، بينما تقدرها مصادر أخرى بحوالي (١٠ ألف هكتار) لنفس العام. أما في

(١) المصدر السابق، ص: ٢٨١، ٢٨٢.

كتاب الإحصاء السنوي لعام ١٩٩٨م، فقد وصلت مساحة القات إلى (٩٧ ألف هكتاراً)^(١).

جدول بإجمالي المساحات المزروعة بالقات والإنتاج السنوي منه،

للأعوام من ١٩٩٦م، إلى ٢٠٢٣م^(٢):

السنة	المساحة (هكتار)	الإنتاج (طن)
١٩٩٦	٩١,٤١٨	٨٦٦٠٧
١٩٩٧	٩٣,٢٤٦	٨٠٥٦١
١٩٩٨	٩٧,٦٧٢	٨٩٥٠٢
١٩٩٩	١١٥,١٩٨	٩١٢١٢
٢٠٠٠	١٠٣,٩٢٨	٩٧٨٤٤
٢٠٠١	١٠٨,٧١٥	١٠٥٤٦٥
٢٠٠٢	١٠٨,٦٨٨	١٠٥٤٦٥
٢٠٠٣	١١٠,٨٧٣	١٠٣٥٣٨
٢٠٠٤	١٣١,٥٤٤	١٠٩٧٨٣
٢٠٠٥	١٣٣,٠٥٢	١٢١٣٩٩
٢٠٠٦	١٤٦,٤١٤	١٤٧٤٤٤

(١) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص ٨.

(٢) المصدر: كتاب الإحصاء الزراعي السنوي، للأعوام: (٢٠٠٠، ٢٠٠٥، ٢٠١٠، ٢٠١٤،

٢٠١٩، ٢٠٢١، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣م).

١٥٦٢٩٠	١٥٠,٩٩٥	٢٠٠٧
١٦٥٦٦٨	١٥٧,٢٣٢	٢٠٠٨
١٧٣٨٥٢	١٦٥,٢٤٦	٢٠٠٩
١٦١٠٠٥	٢٣٤,٣٥٣	٢٠١٠
١٨٠٦٣٠	١٧٣,٤٥٠	٢٠١١
١٩٠٨٥٦	١٨٠,٣٣٢	٢٠١٢
١٩٢٧٦٤	١٧٩,٩٩٦	٢٠١٣
١٩٣٩٤٠	١٨٢,٦٥٦	٢٠١٤
١٨٤٧٤٩	١٦٦,٥٥٧	٢٠١٥
١٨٦٢٨٥	١٦٧,٤٠٥	٢٠١٦
١٨٥٦٢١	١٦٦,٦٦٦	٢٠١٧
١٦٢٦٣١	١٦٦,٧٤٥	٢٠١٨
٢٣٧٢٩٩	١٦٦,٨٩١	٢٠١٩
٢٤١٣٠٩	١٦٩,٨٤٨	٢٠٢٠
٢٩١٤٩٨	١٧١,٧٤٤	٢٠٢١
٢٨٣٨٠٤	١٧١,٧٠٩	٢٠٢٢
٢٩٦٩٧٢	١٧٥,٤٤٠	٢٠٢٣

أما محلات بيع القات، فإنها منتشرة بشكل كبير في مختلف مناطق اليمن، والناس تذهب في أوقات معينة لشرائه، ثم الذهاب لجلسات المقييل وتناوله. ويلاحظ أن نسبة كبيرة من هؤلاء الناس من الفقراء، والمعدمين، وشراء القات من قبل هذه الفئة، يكون في الغالب على حساب الحاجات الأساسية للعائلة، وعلى حساب المعيشة.

○ استخدام القات في اليمن كمادة منشطة ومكيفة:

كان استخدام القات في اليمن أولاً كتابع، وثانياً لم ينتشر بشكل واسع إلا في الفترة الأخيرة، وقد اقتصر استخدامه على مناطق محدودة من محافظة إب وتعز في البداية، وعلى فئة محدودة، (المتصوفون من رجال الدين في اليمن). ثم انتشر بشكله الواسع منذ السبعينيات وحتى الآن، وأصبح خطراً يبنى بحصول كارثة وطنية، اجتماعياً واقتصادياً وصحياً، إذا لم يتم إيقاف خطرها، ووضع المعالجات العلمية لإزالتها.

لقد ارتبط القات ارتباطاً وثيقاً ببنية حياة الناس، وأصبح ملازماً ليس لحياتهم اليومية فحسب، بل ومرتبباً ارتباطاً وثيقاً بسلوكهم، فعند استقبال مولود جديد تتم جلسة الفرح بتناول القات، وعندما يستذكر الطالب دروسه يحتاج إلى مضغه، والفرح بالزواج لا يتم إلا به، وكذلك لا بد منه عند تقديم واجب العزاء في الموت (المجبرة)، وعند حل المشاكل، وعندما يسافر الشخص ويعود، وعندما ينجز عمله، وهكذا انتشر القات على نسبة كبيرة من السكان، رجالاً ونساءً، بل وأطفالاً.

لقد أصبح القات وسيطاً وهمياً بين الناس وحياتهم الطبيعية، لذا فقد أصبح عبئاً ثقيلاً على المجتمع، يضاف للمعاناة الاقتصادية والاجتماعية والصحية، على الرغم من المبررات التي يضعها المناصرون

أو المدافعون عن القات، وعن مبررات استخدامه، إذا أخذناها بعين الاعتبار، فعلى المجتمع اليمني أو المخزنين في المجتمع اليمني أن يقوموا بقدرات خارقة، أو على الأقل قدرات ومميزات أفضل من قدرات الشعوب الأخرى.

* * *

○ أسباب انتشار القات في اليمن:

منذ أن ظهر القات في اليمن في مطلع القرن التاسع الهجري (مطلع القرن الخامس عشر الميلادي) كمادة منشطة ومكيفة، كانت زراعته محدودة، وانتشاره بطيئاً، واستمر على هذا الحال لما يقارب القرن من الزمن، "ويشير شوبن (١٩٧٩م)، إلى أن تخزين القات (تعاطيه) أصبح عادة شعبية ابتداءً من عام ١٨٧٣م، وتوسعت زراعته حتى وصلت إلى حراز وحفاش، وأصبح أهم محصول زراعي في اليمن منذ نهاية القرن التاسع عشر. وقد كان يتم تصدير ألفي جمل من محصول القات سنوياً إلى عدن"^(١).

وفي ذات الشأن يقول الدكتور عبد الله علي الزلب: "انطلاقاً من القرن السادس عشر للميلاد، يمكن الحديث عن زراعة حقيقية للقات في اليمن، حين شاع استعمال القات، كمنشط ومادة ترفيحية، جماعياً

(١) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص ٥.

في مجالس مخصصة لغرض في جهات كثيرة من البلاد، ومن دلائل ذلك الانتشار، ما أثير من جدل فقهي حول مسألة تحليله أو تحريمه في الشريعة الإسلام بين فقهاء من اليمن ومن خارجها.

ومع ذلك، فإن انتشار استهلاكه كان بطيئاً خلال الفترة بين القرنين السادس عشر والعشرين من التاريخ الميلادي. ويذهب أغلب الكتاب في الموضوع، إلى أن استهلاك القات في هذه الفترة اقتصر على فئات تنتمي إلى المراتب العليا في نظام التراتب الاجتماعي في اليمن آنذاك، كالسادة والقضاة والفقهاء، وبعض الميسورين من التجار ورجال الدولة، ولم يكن القات معروفاً لعامة الناس. ويبدو أن العامل الأساسي لبطء انتشار القات، واقتصار استهلاكه على فئات معينة خلال هذه الفترة الطويلة، يرجع إلى ارتفاع سعره وقلة زرعه. ومما يدل على ذلك، ما ذكره البردوني عن وثيقة ترجع إلى القرن ١٦م، تفيد بأن القات كان باهض الثمن، وغير متاح للفئات الفقيرة والمتوسطة الدخل، وتقول الوثيقة: "اشترى مسعود النخعي، من هزام البليلي في ريمة، بستان قات، بمأتي حرف، أي بمأتي ليرة ذهبية". ويرى البردوني أن ثمن الحقل المباع في الوثيقة يدل على ارتفاع أثمان بساتين القات، لمعرفة المشتري بعائده المرتفعة.

ومع ذلك، ينبغي الحذر والتحري في ما ذهب إليه البردوني وغيره من الكتاب، فارتباط استهلاك القات في بداياته بالنخب السياسية والدينية، لا يعني بآية حال أنه كان حكراً على تلك الفئات دون غيرها.. ومن غير المستبعد استهلاكه من قبل فئات مختلفة من عامة الناس في المجتمع، حيث كان القات في متناول أولئك الذين يزرعونه من الفلاحين، على الأقل، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية، ومستوى دخلهم المادي.

كما كان القات متاحاً لذوي الدخل المتوسط في بعض الأحيان، خاصة أيام الصيف، حيث يكون متوفراً بكثرة ورخيص الثمن، ويذكر زبارة أن: "عادة تخزين القات شهدت انتشاراً ملحوظاً في أيام حكم الأمام شرف الدين (٩٥٠هـ) (القرن ١٦م)، وأنه لما بلغ الأمام أن أحد حراسه أفرط في تخزين القات، وخرج من غرفته وهو يتصبب عرقاً، فضربته الريح وتغير عقله، فأمر الأمام بقلع القات، وحاول استئصاله، ولكنه لم ينجح". وهذه القصة تدل بوضوح على أن القات، كسلعة ترفيه، كان في متناول شرائح وفئات مختلفة من المجتمع، فحراس الأمام كان دخلهم محدوداً وكانوا، غالباً، من أصول ريفية من فقراء الفلاحين والقبائل.

ومن غير المستبعد أن القات مع مرور الزمن قد صار سلعة تجارية باهضة الثمن، وأن الأغنياء فقط هم الذين كانوا يتحملون نفقات استهلاكه بصفة دورية، حيث يذكر قانون مدينة صنعاء، أن ثمن الربطة الواحدة من القات الجيد يساوي عشر بقش، أي ثمن ريال. وكان الريال يساوي آنذاك ٨٠ بقشة، وإذا قارنا بين سعر الربطة القات، ودخل الفرد العادي اليومي، وهو ١١,٥ بقشة، يمكن القول بأن القات لم يكن في متناول ذلك العامل اليومي، ومختلف فئات المجتمع بصفة دائمة، باستثناء فترة الصيف، حيث يكثر عرض القات بأنواعه المختلفة الأثمان والخصائص، مما يتيح للأغلبية من شرائه ولو مرة واحدة في الأسبوع. وقد ذكر نيبور Niebuhr، أن أصحاب المال في المناطق الجبلية يتناولون القات في أشهر مايو ويونيو ويوليو. ويمكن الاستنتاج من ذلك، بأن الطلب على القات كان محدوداً حتى أوائل القرن الثامن عشر للميلاد، لغلاء سعره في سائر الأيام وقلة غرسه^(١).

وعن انتشار زراعة القات في اليمن، يقول الدكتور إسماعيل محرم: "وقد انتشرت زراعة القات في بداية الأمر، بسبب النشاط والحيوية التي يعطيها هذا النبات لمتناوليّه، بحسب ما جاء عن العالم الشيخ

(١) الزلب، عبد الله علي، ثقافات القات في اليمن.. مقارنة سوسولوجية، ص: ٣٨، ٣٩.

المسوري، الذي عاش في القرن الثالث عشر، من أنه: يعين العالم على بحثه، والطالب على درسه، والعابد على عبادته"^(١).

ومع انفتاح اليمن على العالم المتقدم منذ منتصف القرن العشرين، وتحديداً بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م، بدأت حركة الطرقات والسيارات والانتقال، ومستوى دخل الفرد بدأ يرتفع، خاصة مع وفرة النفط، والتي بدأت في المنطقة ابتداء من السبعينيات، بدأ القات في الانتشار، وتشكلت له مجالس ليس على مستوى الصفوة في المجتمع فحسب، وإنما انتشرت إلى الفئات الأخرى، وبدأت أيضاً تنتشر بين النساء، وتمتد إلى طلاب المدارس، لاعتقادهم بأنه يساعدهم على التحصيل العلمي.

وعن انتشار ظاهرة تعاطي القات، تقول الدكتورة نجاة خليل، وهي باحثة اجتماعية، تعمقت في دراسة أسباب انتشار القات في اليمن، حيث ذكرت أن هناك أسباباً تؤدي إلى انتشار أي ظاهره، فهناك عوامل ثقافية واقتصادية واجتماعية، مشيرة إلى أن من العوامل الثقافية التي ساهمت في انتشار تعاطي القات في اليمن، اعتباره ثقافة يمنية، وهوية للشعب اليمني، فالإنسان اليمني لكي يشعر بهويته كإنسان، لا بد أن يعضغ "يخزن" القات.

(١) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص ٤.

في كل مجتمع هناك محددات لدخول عالم الرجولة، من خلالها يتم تجهيز الفرد ليصبح صالحاً للدخول إلى هذه العالم، فتعاطي القات في اليمن، هو من أهم محددات عالم الكبار في المجتمع اليمني. فالأب يعطي ابنه "عودي" غصن قات، ويقول له باللهجة الدارجة: "خزن تقع رجال". أي تعاطى القات لتكون رجلاً، وبالتالي ارتبط مفهوم الرجولة والانخراط في المجتمع بفعالية، ارتبط عند الأطفال بتعاطيهم للقات.

ومع ذلك، فقد ظل تعاطيه مقصوراً في البداية على فئات محدودة في المجتمع، وهي فئات: السادة والقضاة، والفقهاء والتجار، وكبار الملاك، ورجال الدولة، ولم تتعاطاه الطبقات الوسطى إلا في القرن الثامن عشر، بعد أن انتهى جدل التحليل والتحريم حول كونه حلالاً لا حراماً، واستمد مشروعيته من قواعد دينية / أخلاقية، أبعدته بعداً كاملاً عن المخدرات والممنوعات.

ويعزو الدكتور محرم أسباب زراعة وتوسع القات في اليمن إلى الأسباب التالية:

- "سياسة الضرائب الجائرة التي مارسها الحكم العثماني على المحاصيل، وخاصة البن، مما حدا بالمزارعين إلى ترك الأرض وإهمالها، والتخلص من أشجار البن، هروباً من الضرائب العالية، (والتوجه لزراعة

القات)، وقد استمرت الحكومات المتعاقبة بعد الحكم العثماني بنفس السياسة، أو أسوأ منها.

- كثيراً ما أدت النزاعات والحروب القبلية والدولة إلى تدمير مزارع البن، مما مهد الطريق لزراعة القات، وخاصة أن الدولة في بداية الأمر لم تفرض ضرائب على القات.
- قيام ملاك الأرض بزراعة القات، لتعويض ما فقدوه من دخل من المحاصيل الزراعية الأخرى، وخاصة البن.
- وقوف معظم قادة المجتمع (السادة، العلماء، أصحاب الجاه والمال) إلى جانب زراعة وتعاطي القات، على الرغم من وجود بعض المناوئين لزراعته وتعاطيه.
- تشجيع الحكومات المتلاحقة لتناول القات، أو الموقف المحايد حياله، رغم بعض المحاولات المحدودة وضعيفة التأثير، التي ظهرت بهدف الحد من زراعته واستهلاكه.
- العزلة وانتشار الجهل والمغالاة في منع بعض المواد الزراعية (التبغ) ما عدى القات.
- عدم وجود سياسة واضحة للتعامل مع القات، فقد تأرجحت هذه السياسة بين المنع لزراعته، والحد من تناوله، والافتاء بأنه حلال،

والتشجيع المبطن لتناوله وزراعته، للحصول على المزيد من الضرائب.

- العائد الاقتصادي الكبير من محصول القات بالمقارنة مع المحاصيل الأخرى، سواء من القطفة الواحدة، أو خلال العام.
- تحمل القات للعديد من العوامل الطبيعية المؤثرة على زراعته.
- زراعة القات في الأراضي الهامشية، وعائده الاقتصادي الكبير، مما أكسبه ميزة نسبية عن غيره من المحاصيل التي لا تجود فيها.
- متطلبات القات من المدخلات الزراعية متواضعة بالمقارنة مع المحاصيل الأخرى.
- سهولة خدمة المحصول والحصول بالمقابل على مردود سريع وعالٍ.
- شبكة التسويق الخاصة بالقات متطورة، بحيث مكنت المتعاطين له بالحصول عليه بسهولة ويسر في كل مكان.
- الأسعار المتباينة للقات ترضي كل الأذواق والفئات.
- سهولة الحصول على أكثر من قطفة خلال العام، وتوقيت الحصول عليها على النحو الذي يحقق عائداً عالية.
- تناول القات أصبح وسيلة للقاءات والاجتماعات، وحل المشكلات لبعض الناس، أو انجاز بعض الأعمال.

- احتوائه على المواد المنشطة، ساعدت على انتشار تناوله بين الفئات المختلفة، وخاصة الشباب من العمال والطلاب وغيرهم.
- عدم تدخل الدولة للحد من انتشاره وتناوله، بل تشجيعه من حيث لا تدري^(١).

* * *

○ أوقات تعاطي القات في اليمن والطقوس اللازمة لذلك:

إن أي ظاهرة اجتماعية تظهر ثم تتطور، وعبر الزمن تتشكل لها عادات وطقوس وتقاليد، والقات ظاهرة اجتماعية لها طقوسها في المجتمع، وقد جاء في تقرير الدكتور حكمت، رئيس الهيئة الطبية العثمانية، أن "أهالي اليمن، حريصون ومدمنون على القات، لدرجة أن أكثرهم يصرفون ما لا يقل عن سبع أو ثمان ساعات خلال الأربعة والعشرين ساعة في مضغ القات؛ الأغنياء منهم، يخصصون في دورهم محلات خاصة لمضغ القات، يسمونها: (مبرز أو مفرج)، يزبنون تلك المحلات بأحسن الزينة والأثاث"^(٢).

(١) المصدر السابق، ص: ٤، ٥.

(٢) نقلاً (بتصرف) عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

وبالنسبة لأوقات أو ساعات تناول القات، فيكون "في النهار صباحاً، حتى الساعة الثالثة، وفي الليل أيضاً بعد الطعام، حتى الساعة الثامنة، يجتمع الأحاب في المبرز يمضغون في جهة، وفي الجهة الثانية يشربون القشر، فيستأنسون. وهناك الكثير من الأهالي ممن يستهلكون في اليوم أربعين أو ستين أو مائة قرش أو أكثر في القات. وأكثر ما يقدمونه من الكرم عند قدوم ضيف، هو أن يقدموا له حزمة أو حزمتين من القات، مع إبريق مملوء من القشر المطبوخ. وهناك من يبيع القات في الطرقات"^(١).

والمكان الذي يتم فيه غالباً تعاطي القات، يسمى الديوان، وهو بمثابة مجلس أو صالة كبيرة، مفروش بأثاث مجلس عربي، لا يكاد يخلو منزل في اليمن منه، وعادة يكون المجلس في أكثر غرف المنزل انشراحاً، وفي هذا المجلس، يتخلل كل شخص وآخر (متكأ)، يتم الاتكاء عليه باليد اليسرى، لتتاح حرية الحركة لليد اليمنى، لأجل المصافحة وتناول الشخص ما يحتاجه من القات والماء والسجائر، أو قصبة النرجيلة، أو غير ذلك.

أما الرحالة العرب فقد وصفوا مجالس القات وما تحويه، من خلال مشاهداتهم لها أثناء زيارتهم لليمن، فقد ذكر الريحاني: "إن

(١) المصدر السابق.

مجلس القات لا يتم بغير أباريق الماء وكؤوس النحاس الجميلة الشكل الشبيهة بالكؤوس الذهبية التي تستعمل في الكنائس وقت القداس" (١).

وفي كتاب: (رحلة في بلاد العربية السعيدة) للأستاذ السيد نزيه المؤيد العظم، جاء ما نصه: "وهو - يقصد: القات - له مجالس خاصة، ينهمك المجتمعون فيها بمضغه، وأمام كل واحد منهم رزمة كبيرة منه، وإلى جانبها إبريق من فخار، ومبصقة من فضة؛ أما الإبريق فيستعملونه لغرغرة أفواههم من حين إلى آخر، وأما المبصقة، فلطرح أوراق القات بعد مضغه. ويدوم هذا المجلس من بعد الغداء حتى المساء" (٢).

وبالنسبة للطقوس الخاصة بالقات، التي يقوم بها أغلب المتعاطين له، فتبدأ جلسة تعاطي القات بالمزاح والضحك، ومضغ القات، ويكون مزاج المتعاطي رايق جداً، وفي أشد حالات انبساطه، وهذه هي المرحلة الأولى، بعد ساعة زمن من مضغ القات، يكون الفم قد امتلأ بورق القات، ويكون المجلس قد سادته شيء من الهدوء والجدية، وَقَلَّ الصخب، وانتهى المزاح والضحك، ويبدأ المتعاطون بالحديث عن

(١) الريحاني، أمين، ملوك العرب، ص ٩٩.

(٢) مجلة الرسالة، العدد: ٧٥، ص ١٩٢.

مواضيع شخصية تهمهم، وكذلك فتح مواضيع عامة، دولية ومحلية، السياسية منها والاجتماعية، ويدلي كل شخص منهم بدلوه، وهذه هي المرحلة الثانية، وبعد ساعة زمن أخرى من الكلام والثرثرة، يكون فم المتعاطي قد امتلأ على آخره بورق القات، ويسود المجلس صمت تام، فلا تسمع همساً، ويكون كل متعاطٍ منكفئ على نفسه، شارد الذهن، يطيل التفكير بمشايير وأشياء كثيرة، وكبيرة في نفس الوقت، كلها تنتهي بمجرد إخراج القات من فمه، وهذه هي المرحلة الأخيرة، وتسمى عند المتعاطين (الخدارة)، وتعني أن المتعاطي وصل إلى ذروة نشوة القات، ويكون مفعوله قد اكتمل، وعندما يصل المتعاطي لهذه المرحلة (الخدارة)، يذهب لإنجاز عمله بكل نشاط وحيوية، فيزيد من تركيز الطالب عند المذاكرة، ويزيد من قوة جسم الفلاح عند ممارسة عمله - طبعاً بحسب قولهم - . هذه باختصار جلسة تعاطي القات اليومية، التي تحدث في معظم البيوت اليمنية.

* * *

○ مشكلة القات في اليمن اقتصادية اجتماعية ثقافية:

إن هذا الموضوع من أهم الموضوعات المتعلقة بالقات، فيما يتعلق بمشكلة المجتمع اليمني، فالقات ليس مشكلة تخدير، أو إدمان، فهذه مسألة محسومة علمياً، المشكلة بالنسبة لليمن، هي:

- المشكلة الاقتصادية: أثبتت الدراسات أن ١٢٪ من دخل الأسرة - هذه آخر إحصائيات - أن ١٢٪ من دخل الأسرة يصرف في القات، بينما ١٧٪ يصرف في مجال الحبوب التي تعد هي المعيشة، التعليم يمكن ١٪، الفواكه لا يتجاوز ٢٪، يعني هناك ١٢٪ من إنفاق الأسرة اليمنية يذهب في استهلاك القات، هذا يعمل انعكاساً واسع النطاق، سواء صحياً أو اجتماعياً أو ثقافياً، إلى آخره.

- مشكلة المساحات المزروعة: آخر إحصائيات تقول: إن هناك ٩٧ ألف هكتار من المساحات المزروعة في المجتمع اليمني مزروعة بالقات، إضافة إلى استنزافه الكبير للماء، آخر الإحصائيات تقول: إنه يستنزف ٥٥٪ من المياه، هذه طبعاً مشكلة كبيرة، هذا المؤشر الأول فيما يتعلق بهذه المسألة. والمؤشر الثاني: الفجوة الغذائية التي أحدثتها زراعة القات، يعني الآن زراعة القات نمت على حساب المحاصيل الأخرى، خاصة البن، والبن إلى الأربعينيات من القرن الماضي، كان يمثل أحد المصادر الأساسية للعملة الصعبة في المجتمع اليمني،

وتراجع الآن، وأصبح لا يشكل إلا ٣٢ ألف هكتار في المجتمع اليميني، أدى هذا إلى فجوة غذائية كبيرة.

- المردود المالي: فمن يزرع القات يعود إليه بعائد مالي مهم، وأحياناً مغرٍ، وبالتالي فهو يفضل زراعة القات على أن يزرع التفاح أو البرتقال، أو غيره من الزراعات الأخرى المعروفة. فالخصول النقدي من زراعة القات بالنسبة للمزارع، يرتفع إلى ٢٢ ضعفاً على البن، وهذا يدفع المزارع اليميني إلى زراعة القات، وقلع شجرة البن، أو أي محاصيل أخرى.

- مشكلة الحركة اليومية للمبالغ النقدية التي تذهب للقات: آخر إحصائيات - تقديرية - تقول: إن هناك ٧٠ مليون ريال يومياً تستنزف في شراء القات؛ يعني هناك فاقد اقتصادي سنوي قدره خمسة وعشرين مليار؛ لا يدخل في إطار العجلة الاقتصادية والناتج القومي، هي حركة داخلية دائرية فقط. هذا الفاقد الاقتصادي، ليس له أي دور في عجلة التنمية، أو في الناتج القومي، من وجهة نظر الاقتصاديين.

وإن كان البعض يحاولون إعطاءه مدلولاً إيجابياً؛ ويتحدثون عن ظاهرة تدوير رأس المال، كما يقال في البلد، وأن هذه الحركة الاقتصادية التي خلقها القات، ربما تعود بالفائدة على عديد جهات، سواء في الريف أو في المدينة، وانتقال لرأس المال بين الريف والمدينة، ويعتقد بأن هذا الكلام صحيح، ولذلك عندما يدور الحديث عن اتخاذ قرارات، وعن دراسة واستراتيجية لمعالجة موضوع القات، لا بد أن نأخذ هذا بعين الاعتبار، أن هناك ٢٠٪ من سكان الجمهورية اليمنية يعيشون فعلاً على حساب زراعة القات، وتسويق القات، وحركته الدائرية داخل المجتمع، هذه فعلاً مشكلة اقتصادية واجتماعية وثقافية، وهي قضية معقدة، لا بد من معالجتها معالجة حكيمة.

- المشكلة المتعلقة بكيفية الفصل بين العادات الاجتماعية

والقات: الآن هناك تداخل بين القات والعادات الاجتماعية، في الزواج القاسم المشترك في عادات الزواج القات، في الخطوبة، في الأفراح، في مجاهرة الموت، في تجمع الأصدقاء. والقاسم المشترك في كل هذه المناسبات، يعني لازم يكون هناك

قات. فكيف يكون الفصل بين العادات الاجتماعية، وبين هذا القاسم المشترك، وجود القات.

- مشكلة الطقوس: وهذه مشكلة ثقافية، لا بد لها من معالجة. هذه المشكلات كلها في حاجة إلى استراتيجية طويلة الأمد تندرج في معالجة هذه الظاهرة، من قبل الدولة، ومؤسسات المجتمع المدني، كمؤسسات ثقافية، أو جامعات، أو مراكز بحث، وينبغي أن يكون التركيز في هذه المرحلة على الأطفال ما دون سن ١٨ سنة.

* * *

○ علاقات مجالس القات بالسياسة والصحافة:

وبالنسبة لعلاقات مجالس القات بالسياسة، فقبل عام ١٩٩٠م، كانت مجالس القات لها دور أساسي في كثير من المسائل السياسية، وكانت هذه المجالس عبارة عن منتديات للثقافة والأدب والفكر والنقاشات المختلفة، وبعد عام ١٩٩٠م، بعد انتهاء التعددية السياسية، وحرية تكوين الأحزاب، وحرية إصدار الصحف، كان من المتوقع أن تكون التعددية السياسية والأحزاب والصحف الحرة هي البديل.

لكن الشيء المؤسف، أنه ظلت مجالس القات هي الوعاء للنقاشات والحوارات السياسية، وكان من المتوقع أن تنتقل هذه المؤسسات والأحزاب إلى مرحلة متقدمة كأحزاب، لكن الشيء المؤسف، أنها ظلت حبيسة الثقافة التقليدية. وهذا يعطينا فكرة أن التفاعل بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة لا زال في مرحلة متأخرة، بالنسبة لهذه المسألة بالذات، والثقافة التقليدية بالنسبة لموضوع القات، لا زالت هي المسيطرة تماماً، حتى على التوجهات الحزبية، التي ينبغي أن تخرج إلى مستوى المهرجانات والمحاضرات واللقاءات العامة.

وبالنسبة للصحف، كانت مجالس القات هي مصدر الإشاعات ومصدر الأخبار السياسية التي تنشرها الصحافة، هذا قبل التعددية، وبعد التعددية السياسية يفترض أن تكون الصحف هي المصدر للأخبار، وليست مجالس القات، لكن الشيء المؤسف أن الصحف المتعددة (الحزبية والحرّة) أصبحت لا تنتقل إلى مكان الخبر، وموقع الحدث، وتنقل للمواطن حقيقة ما حدث؛ إذ أن الصحفي عندما يسمع خبراً أو إشاعة في مقيال القات، فينقله إلى الصحيفة، ويعتبره كأنه خبر، لا شك أن مثل هذا يحدث مشكلات وإرباكات اجتماعية وسياسية وثقافية متعددة.

* * *

○ استهلاك القات بين الشرائح الاجتماعية المختلفة:

وفي هذا الموضوع يقول الدكتور عبد الله علي الزلب: "لا يتخذ استهلاك القات شكلاً موحداً لدى جميع فئات المجتمع، فالملاحظ أن الغالبية العظمى من فئة الشباب ليسو مخزنين (متعاطين) مفرطين ودائمين، كما أسلفنا الذكر، رغم أن أغلبية المبحوثين الذين أجابوا بأنهم يخزنون (يتعاطون) القات، هم من الشباب بين ١٧ - ٣٢ عاماً. الأمر الذي يؤكد على أن عامل التعود يلعب دوراً هاماً في كميات الاستهلاك، وعدد مرات الاستهلاك في الأسبوع.

ومع ذلك، فإن الرقم (١٦,٥٪) من المخزنين (المتعاطين) التي تتراوح أعمارهم بين ١٢ - ١٦ سنة، يبرهن على أن فعل تخزين (مضغ) القات يشكل خطوة مفروضة من قبل أنظمة القيم والمواقف السائدة في المجتمع، وأن الكثير من الشباب والبالغين سن الرشد، يشعرون أنهم مدفوعون لخوض تجربة التخزين (تعاطي القات).

والفئة الاجتماعية المفيدة للبحث هنا، هي فئة الشباب الجامعي والمدرسي. فالتعليم ساهم في تغيير بعض العادات، بسبب الجدول الزمني للدراسة. وقد لمسنا من خلال المقابلات المباشرة تبايناً كبيراً في مواقف الشباب تجاه تخزين (تعاطي) القات، فالبعض يؤكد أن القات يساعده على التركيز في التحضير للدروس، وإنجاز الأعمال الذهنية

والعضلية الشاقة، لكن البعض الآخر يرى أن القات يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، كالشرود الذهني عند القراءة، والإرهاق، وعدم التركيز أثناء تأدية الامتحانات، أو الاستماع إلى المحاضرات والدروس، بسبب السهر وقلة النوم، وهؤلاء يؤجلون تخزين (تعاطي) القات إلى الإجازات والعطل^(١).

أما فيما يتعلق بخصوصيات استهلاك القات بين الشرائح الاجتماعية المختلفة، فإن التمايز الحاصل هنا، لا يظهر في تخزين (تعاطي) القات، أو عدم تخزينه (تعاطيه)، أو في الكمية المستهلكة، أو مستوى الاستهلاك (خفيف - متوسط - مفرط)، وإنما يبرز في نوع القات، وأشكال الاستهلاك، وبعض المظاهر المرتبطة بمجلس القات، وباستثناء ذلك، فإن جميع فئات المجتمع وشرائحه لها علاقة مباشرة باستهلاك القات. أما أولئك الذين لا يحزنون (يتعاطون)، ويتبنون مواقف مناهضة لاستعمال القات، فغالباً ما يكون العامل الذاتي هو الدافع الرئيس وراء مواقفهم، وليس انتماءهم الاجتماعي لشريحة معينة أو فئة من المجتمع^(٢).

(١) الزلب، عبد الله علي، ثقافات القات في اليمن.. مقارنة سوسولوجية، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٧.

وبحسب إحصائيات منظمات الأمم المتحدة، فإنه يُقدر عدد من يتعاطون القات بشكل يومي على مستوى العالم، بنحو ٢٠ مليون شخص، وفي اليمن تشير بعض التقديرات، أن ٨٠٪ من الرجال في اليمن يتعاطون القات يومياً، طيلة ثلاث ساعات إلى أربع ساعات، وقد تناهز نسبة الإناث اللائي يتعاطينه ٥٠٪ أو أكثر من ذلك، وتشير نتائج إحدى الدراسات التي أُجريت لصالح البنك الدولي في الآونة الأخيرة، إلى أن ٧٠٪ من النساء في اليمن يمضغن أوراق القات بشكل متكرر نسبياً.

وتشير بعض الدراسات المعنية، إلى أن اليمنيين ينفقون، على الأقل، حوالي ٥٠٪ من دخل أسرهم على تعاطي القات. والواقع يقول إن الأرقام الفعلية أكبر من ذلك بكثير، فظاهرة تعاطي القات منتشرة بشكل واسع، ولا يكاد يخلو بيت في اليمن من متعاطي للقات بشكل يومي، وتُظهر التقديرات، أن تعاطي القات منتشر بشكل كبير، وأصبح يمثل حالة إدمان جماعية، يعاني منها أغلب الشعب اليمني، وتشير بعض الدراسات، أن نحو ٥٠ - ٩٠٪ من الذكور الذين تزيد أعمارهم عن ١٨ سنة يتعاطون القات.

* * *

○ النساء وتعاطي القات:

على الرغم من أنه يمكن مشاهدة الرجال في أي مكان من اليمن وهم يتعاطون القات على الملأ، فإن النساء على الأقل قبل الزواج، يفعلن ذلك في خفية، ولا ترى أية امرأة في الطريق وهي تمضغ أوراق القات، إلا أنه أصبح في الوقت الحاضر، يتزايد عدد المتقفات والمتعلمات اللاتي اكتسبن هذه العادة، وهناك جزء كبير من بين الـ (٢٥٪)، اللاتي يتعاطين القات بانتظام، ينتسبن إلى هذه الفئة الاجتماعية، والواقع أن تناول القات بين النساء لم ينتشر إلا من سبعينيات القرن العشرين؛ إذ كانت النساء حتى وقت قريب يمنعن من قبل ذويهن من تناول القات.

وتعتبر هذه العادة في بعض الحالات من مظاهر الوجهة، وتفضل النساء المتزوجات اللاتي يمضغن القات بانتظام، أن يقمن بذلك في مجموعات من النساء الأخريات، يفضلن ذلك على تدبير أمور بيوتهن، أو رعاية أطفالهن. وييدي معظم الرجال استياءهم تجاه تعاطي النساء للقات، ما لم يكن متقدماً في السن، أو على رأس الأسرة، وهم يدينون هذه الممارسة على أسس أخلاقية، ويصرون على أن في ذلك مخاطرة بإساءة السلوك، والاتجاه نحو التشرد، علاوة على عواقبها السلبية في تنشئة الأطفال.

ويتطرق الدكتور عبد الله علي الزلب إلى موضوع تعاطي النساء لنبات القات، في سياق حديثه، عن زيادة حجم استهلاك اليمينين لأوراق وأغصان هذه الشجرة، بعد عقد السبعينيات من القرن العشرين، حيث يقول: "حدثت طفرة كبيرة في حجم الاستهلاك، ويجمع أغلب الباحثين في الموضوع، أن استهلاك القات أصبح ظاهرة عامة وشائعة في أوساط الجنسين، وشمل جميع الشرائح الاجتماعية في الحضر والريف تقريباً، ومن مؤشرات ذلك، انتشار تعاطي القات بين النساء، حيث كان من "العيب" ومن غير اللائق أن تخزن (تتعاطي) المرأة، وكانت جلسات "النفرطة" النسائية تخلو من القات، وتقتصر على القهوة والشاي. ولكن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المجتمع اليمني خلال العقود الثلاثة الأخيرة - أي السبعينيات وما بعدها -، شجعت النساء، خاصة المتزوجات، على التوجه نحو استهلاك القات، فقد أصبح إنجاز الأعمال المنزلية اليومية يسيراً، بفضل دخول الأجهزة الكهربائية المنزلية إلى المطبخ اليمني، وأمكن للمرأة اليمنية أن تجد لها متسعاً من الوقت للترفيه والخروج من المنزل، بعد أن كان العمل في المنزل، بالنسبة للمرأة في المدينة، والعمل في الحقل، بالنسبة للمرأة الريفية، يأخذ كل وقتها وجهدها واهتماماتها^(١).

(١) المصدر السابق، ص ٦١.

ويضيف الدكتور الزلب: "كما ينبغي أن تذكر هنا خصوصية استهلاك القات في أوساط النساء، اللاتي دخلن "عالم القات" حديثاً، وبعد فترة طويلة نسبياً من معرفة الرجل له، مما لا يترك المجال للتفكير في أن القات رمز للرجولة، وهو ما سيتم التثبت منه لاحقاً. وقد أجابت ٧٠٪ من النساء المبحوثات، أنهن يحزن (يتعاطين) القات في المناسبات، أو مرة واحدة في الأسبوع، و ٦٪ منهن فقط يستهلكن القات بشكل مفرط (يومية وبكميات كبيرة)"^(١).

فلم يعد حديث الناس عن القات كظاهرة رجالية، فهذا الأمر مفروغ منه، وقد أصبح ضرباً من الماضي؛ فتناول القات بالنسبة للنساء، لا يعدو مجرد وسيلة لتمضية الوقت في الجلسات الخاصة والمناسبات، كما تقول الكثير من الفتيات اليمنيات، فالنساء أصبحت تماثل الرجال في تناول القات، وتشكلت لهن شللاً وجماعات اجتماعية، المجموعة الواحدة (من خمس إلى عشر في المتوسط)، يجتمعن فيها ويقضين وقت الفراغ، في تبادل الأحاديث، أو الشكاوى، أو النصائح الاجتماعية، وأصبح القات هو الجامع بين هذه الجماعات الاجتماعية النسائية، وهذا بدوره امتد إلى كل التجمعات السكانية في اليمن، خاصة في المدن، ولا تختلف مجالس النساء عن مجالس الرجال،

(١) المصدر السابق، ص ٦٥.

وربما تكون تكلفة مجالس القات الخاصة بمن، تساوي ضعفي تكلفة مجالس القات عند الرجال، سواء من حيث نوع القات، أو من حيث الأشياء التي تقدم معه: المشروبات، البيبسي، المشروبات الأخرى، المأكولات، المياه الباردة، الثلج، ويحصل تنافس بين مجالس النساء في هذا الجانب، وهذا يؤثر تأثيراً اقتصادياً كبيراً على ميزانية الأسرة.

كما أن مسألة المحاكاة والتقليد لها دور أساسي في مجالس النساء، ومن هذا التفاخر، أن مجلس زوجة فلان أو فلانة أفضل مجلس للقات، سواء في تأثيث المجلس، أو في تناول المرطبات، أو في تناول المأكولات قبل القات، إلى آخر هذه الأشياء، فالأسباب الاجتماعية هذه من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هذا الانتشار.

ومع ذلك، لم تصل منافسة النساء للرجال في تناول القات إلى حد التكافؤ، من حيث الكمية المستهلكة من القات، وفترة تناوله، ويعود ذلك إلى عوامل عدة، تطرق لها الدكتور الزلب، حيث يقول: "وقد لوحظ أن فترة التخزين (تعاطي القات) عند النساء أقل من الرجال، وبمتوسط ٣ ساعات فقط، بينما تصل الفترة لدى الرجال إلى ٦ ساعات. ويعود ذلك إلى عوامل ثقافية واجتماعية تتعلق بالقيم وبالتقاليد السائدة في المجتمع اليمني، التي تفرض على المرأة في الريف أو المدينة أن تكون داخل منزلها قبل المغرب وحلول الظلام، كما أن

التزامات المرأة المنزلية تجعلها تتأخر في الذهاب إلى جلسات "التفرطة" النسائية التي يخزن (يتعاطين) فيها القات.

وقد ذكرت (٦٢٪) من المستجوبات، أن استهلاكهن لا يتجاوز النصف ربطة في كل جلسة، وفي بعض الأحيان الربطة، وتعتمد غالبية النساء على أزواجهن في شراء القات (٧٦٪)، أما أولئك اللاقي ينفقن على استهلاكهن الخاص من القات، ومعظمهن من الموظفات، فعادة ما يقوم الزوج أو أحد الأقارب بمهمة شراء القات لهن؛ لأن دخول المرأة إلى سوق القات لا يزال سلوكاً غير مقبول، في التصورات الاجتماعية السائدة، ويتضمن دلالات تلحق الضرر بسمعة المرأة وشرفها.

كما تبين من نتائج التحقيق الميداني أن (٨٩٪) من النساء متزوجات، أو سبق لهن الزواج، بينما (٧٪) فقط منهن عازبات، أما البقية فقد رفضن الإفصاح عن حالتهم الاجتماعية. وهناك بالتأكيد خصوصيات أخرى تتعلق بمجالس القات النسائية، لكن أهم خاصية يمكن ذكرها هنا، أن النساء أقل ميلاً للقات من الرجال^(١).

(١) المصدر السابق، ص: ٦٥، ٦٦.

وخلاصة للموضوع، وباختصار، فإن قضية انتشار القات بين النساء يعود إلى سببين رئيسيين:

- السبب الأول: هو ارتفاع دخول الناس، ووفرة المال في أياديهم؛ لأن الناس في الماضي لم يكونوا يستطيعون الحصول على القات، ولا يشترونه نتيجة لارتفاع أثمانه، ونتيجة أيضاً لعدم وجود وسائل اتصال كانت تنقل القات من مكان إلى آخر، وكان لا يتناول القات إلا الناس القادرون على الحصول عليه، وعندما ارتفعت نسبة الدخول عند الناس، ابتداء من مطلع السبعينيات، سواء في المحافظات اليمنية (الجنوبية، أو الشمالية) سابقاً، عندها بدأ يمتد القات إلى النساء.

- السبب الثاني: الجانب الاجتماعي، حيث بدأت مجالس القات، خاصة في المدن؛ لأن المرأة بدأت تخف عنها أعمال البيت، بسبب وسائل الحياة الحديثة التي دخلت على المنزل، خففت من أعباء المرأة، وأصبح لديها وقتاً فائضاً لا بد أن تقضيه؛ لأن الزوج يقضي الوقت الفائض في مجالس القات الرجالية.

* * *

○ الأطفال والقات:

بالنسبة للأطفال، ما تحت سن العاشرة، فإن تعاطي القات محدود للغاية في أوساط هذه الفئة، ومع ذلك هناك بعض الدراسات الميدانية،

تشير إلى أن ١٥٪، إلى ٢٠٪ من الأطفال، دون سن ١٢ عاماً، يتعاطون القات بشكل يومي، وفي دراسة أخرى، أن الأطفال من سن ٧ إلى ١٥ سنة، يتعاطون القات بشكل كبير، وأن السبب الرئيسي لتعاطيهم هو الأب؛ لأنه يعتقد أنه عندما يسمح لأبنائه بتعاطي القات، فهو بذلك يهيئهم ليصبحوا رجالاً، وهذا من أهم العوامل الاجتماعية لانتشار القات في اليمن.

يُجمع الكثير من الدارسين لهذه الظاهرة، على أن السبيل الوحيد لمكافحة القات، والحد منه، هو بتغيير هذه الثقافة السائدة، أو تقويمها على الأقل، فالحملات التوعوية التقليدية القائمة على التعريف بأضرار ومخاطر القات، لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تؤثر في الحد منه، وهو ما يفسر انتشاره في ظل وجود منظمات كثيرة تعنى بمكافحته.

* * *

○ الطلاب وتعاطي القات:

هناك اعتقاد خاطئ لدى طلاب المرحلة الإعدادية والثانوية، بأن تعاطي القات يساعد على التركيز والاستذكار، وعلى التحصيل العلمي، ما دفع الكثير منهم إلى تناول القات، وتكونت شلل من الطلاب (٢: ٥)، يتجمعون لتناول القات، ويذاكرون الدروس، وهذا الاعتقاد أدى إلى انتشار القات، لكن الثابت علمياً، أن الذين لا

يتناولون القات من الطلاب والطالبات، درجاتهم العلمية أعلى بكثير من درجات الطلاب الذين يتناولون القات، ويعتقدون أنه يساعدهم على الاستدكار، وأعتقد أنه من ضمن القضايا المطروحة، أنه لا بد أن يدخل القات ضمن المناهج الدراسية في الصفوف الأولى، في المرحلة الأساسية، وأن يدخل القات ومضاره من ضمن المناهج الدراسية، حتى نقي الطلاب والطالبات من هذا الاعتقاد الخاطئ.

إضافة إلى مسألة المحاكاة والتقليد، فالطفل أو الشاب عندما يرى أن شخصية والده الاجتماعية ومكانته تتشكل من خلال مجلس القات، من خلال من يأتي إليه من الشخصيات الاجتماعية والمؤثرين في المجتمع، لذلك يتطلع إلى أن يكون أحد هذه الرموز الاجتماعية في المستقبل، فيبدأ يشكل مجموعات اجتماعية صغيرة، وعادة في المدرسة. وبشكل عام، تعتبر نسبة متعاطي القات في ازدياد مضطرد، خاصة في أوساط طلاب المدارس والجامعات.

* * *

○ هل تستفيد الدولة من القات؟

إن الدولة اليمنية لا تستفيد من إنتاج القات، وسبب ذلك، أن إنتاج القات يعتبر إنتاجاً محلياً، ولا يسمح بتصديره إلى الخارج، حتى تستفيد الدولة من تصديره بعملة صعبة، عكس المزروعات الأخرى،

التي يتم تصديرها إلى الخارج وبالعملة الصعبة، تستفيد منها البلاد اقتصادياً.

إضافة إلى ذلك، فإن الدولة أيضاً لا تستفيد كثيراً من الضريبة اليومية التي تحصلها من قيمة القات المستهلك، والمحددة هذه الضريبة بما نسبته ٢٠٪ من قيمة القات المباع والمستهلك فعلاً.

وبالعودة إلى الكميات الكبيرة المنتجة يومياً من القات في اليمن والقيمة الكبيرة لها يتضح أن ما يتم تحصيله من قبل الدولة قليل جداً، ولا يتناسب مع الكميات المنتجة والقيمة البيعية للقات، ولا يصل ما يتم تحصيله حتى إلى ما نسبته ٥٪ من القيمة الفعلية والمستملكة للقات، رغم التحسن البسيط الذي حصل في السنوات الأخيرة لهذه الضريبة.

ويعود الخلل الحاصل في انخفاض الضريبة المحصلة من القات إلى عدة عوامل، منها على سبيل المثال:

(١) الفساد.

(٢) عدم تفعيل الدولة لمبدأ الثواب والعقاب، وفقاً للقوانين السائدة في هذا الشأن.

(٣) عدم وجود الكفاءة والخبرة الكافية للعاملين على تحصيل هذه الضريبة.

(٤) عدم التطبيق الكامل والصحيح للقرارات والقوانين الخاصة بتحصيل الضريبة.

(٥) عدم وجود الضبط اللازم على بائعي القات المتهربين والرافضين بدفع الضريبة.

ولكي تصل المبالغ المحصلة من هذه الضريبة إلى الشكل المطلوب، وإلى مستوى حجم الوعاء الحقيقي للضريبة، فعلى الدولة أن تقوم بإجراءاتها القانونية ومحاسبة المقصرين، وتذليل الصعوبات، وتصحيح الاختلالات والمخالفات في تحصيل هذه الضريبة، كما أوضحنا للبعض منها سابقاً.

* * *

○ التخلص من زراعة القات، أو الحد من استهلاكه:

لم تواجه ظاهرة انتشار القات بسياسة حكومية فاعلة ومدروسة، فكانت الإجراءات التي اتخذتها بعض حكومات الجمهورية خلال فترات متباعدة غير فاعلة؛ لأنها غير مدروسة، بل أدت إلى نقيض الهدف منها. فلم تدرك تلك الإجراءات أن القات لم يعد قضية

اقتصادية أو زراعية بحتة، بل صار ثقافة، أي صار ظاهرة لها وظيفة ومدلول. وكلما انتشرت تلك الثقافة توسعت زراعة القات وانتشرت، والعكس صحيح.

فما زراعة القات في الأرض إلا انعكاساً لوجوده في الوسط الثقافي والاجتماعي، فالشيء متى أصبح ثقافة، لا تنجح محاربته أو محاصرته إلا بثقافة بديلة، تحل محلها، وتمحو مبررات وجودها، لا أن تقوم بترسيخها وتعميق جذورها. فما دام القات قد تحكم في الأرض والنفوس، فلا بد أن يبحث من النفوس أولاً، ومن الأرض ثانياً، ولا يتم ذلك إلا ضمن خطة ثورية إصلاحية، تقدر على إيجاد البديل الأفضل، البديل الاقتصادي لزراعته، والبديل الاجتماعي لجلساته.

إن القرارات أو الإجراءات التي استهدفت منع القات، أو الحد من استهلاكه، حتى الآن، جاءت من خارج التراث، شأنها شأن غيرها من القرارات أو الإجراءات، ولم تأخذ بالتبلور في داخله. الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على القرار نفسه، بل على النظام السياسي برمته.

فقد استغله إقطاعيو القات ومناصروه، فردوه لصالحهم، بالاحتشاد والتجمهر، والضغط على الحكومة بصورة مختلفة^(١).

والحقيقة أنه من الصعب أن تتخذ قرارات لمحاربة القات، ومقاومته بشكل قوي، غير أنه لا بد أن تتخذ قرارات تحاصر الظاهرة، وبالتالي تقلل بقدر الإمكان مسألة الطلب عليها؛ لأنه إذا انخفض الطلب على سلعة القات سينخفض سعرها، ويزداد العرض، وبالتالي المواطن ستصبح سلعته أرخص، وسيلجأ إلى زراعة محاصيل أخرى، كبذائل عن القات.

* * *

○ دور المنظمات والجمعيات في التخلص من القات:

هناك مؤسسات وجمعيات شعبية تقوم بعملية نشر الوعي والثقافة، وعمل المحاضرات والتوعية في المدارس والمؤسسات، وعمل الملصقات تبين أضرار القات، ومخاطر تعاطيه، ففي عام ٩٢ أنشئت (الجمعية الوطنية لمواجهة أضرار القات)، وأصدرت صحيفة: (يمن بلا قات)، وكان رئيس مؤسسة العفيف الثقافية الأستاذ أحمد جابر

(١) بن غازي، عبد الرحمن، الاقتصاد السياسي للقات والأمن الغذائي، مجلة كلية التجارة

والاقتصاد - عدد خاص - أبحاث المؤتمر العلمي الخامس، ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م، العدد: (١٧)

سبتمبر ٢٠٠١م، ص: ٢٩٨، ٢٩٩.

العفيف، هو المبادر لهذه المسألة، إضافة إلى جمعيات أخرى أنشئت في محافظات: (عدن وتعز وإب)، هذه الجمعيات ليس لها علاقة بالدولة.

لغرض التوجه لغرس ثقافة جديدة تحد من تعاطي القات، أقامت (الجمعية الوطنية لمواجهة أضرار القات)، حملة "أعراس بدون قات"، وكانت قد نظمت عدداً لا يسر به من الأعراس "حفلات زفاف"، التي طُلب فيه من جميع الحضور الامتناع عن تعاطي القات، وهي فكرة رائعة، وكانت قد بدأت تجني ثمارها، إلا أنها لأسباب عدة توقفت، أو بالأصح اندثرت، ولم يبق لها أي وجود يذكر.

من التجارب الناجحة أيضاً، ما قام به (صندوق تنمية المشاريع الصغيرة) من مبادرات، أطلقها لدعم المزارعين على التخلص من شجرة القات، واستبدالها بشجرتي البن واللوز، وحققت هذه المبادرات نتائج لا يستهان بها، فقد تخلصت قرى كثيرة في منطقة حراز من القات تماماً، واستبدلته بالبن، هذه المبادرات وغيرها تحتاج مزيداً من الدعم والتطوير. فالتخلص من زراعة القات ليس بالأمر الهين، وهنا لا نتحدث عنه من جانب اجتماعي فقط، بل اقتصادياً، فقد أصبحت زراعة القات في اليمن مصدر دخل أساسي للكثير من المزارعين اليمنيين - إن لم نقل جميعهم -، ومن يشتغلون في بيعه ونقله، وأصبح بيعه ونقله وزراعته وتصديره إلى الخارج صناعة أكثر منها زراعة، انخرط

فيها الكثير من اليمنيين، وأصبحت الأموال التي تأتي من بيع وتصدير القات، والتي يتم تداولها يومياً في اليمن، تمثل دورة اقتصادية حيوية، لا يمكن الاستغناء عنها بسهولة.

بإمكان اليمنيين الإقلاع عن تعاطي القات، لكن هذا ليس بالأمر السهل، وفي الإمكان أيضاً أن نرى اليمن بدون قات، لكن ليس في المدى المنظور، ويحتاج الأمر للكثير من الجهد والعمل، وللمزيد من الأفكار الإبداعية والحلول البديلة، التي تُسهم في زرع ثقافة جديدة في وعي الإنسان اليمني، خصوصاً الجيل الناشئ.



• القات من الناحية العلمية^(١):

○ من أعراض مضغ أوراق القات:

يقول الدكتور بيتر كاليب، من قسم الصيدلة - المركز الطبي الجامعي جنيف، سويسرا: "إن النشوة والانتعاش التي تنتج عن مضغ القات، تعتبر درجة معتدلة للنشاط العام المركزي المتزايد، والشعور بالغبطة الذي يتبعه حالة تعب شديد وإجهاد، كما أن القات يؤدي أيضاً إلى آثار واضحة لفقدان الشهية، وهذا يعتبر وسيلة مغرية جداً، تخفف من الشعور بالجوع أو التعب، كما ينتج عن مضغ أوراق القات زيادة في الحرارة، وأعراض خارجية أخرى واضحة على سطح الجسم، مثل: اتساع حدقة العين، واضطراب أو عدم انتظام النبض، وأحياناً ارتفاع شديد في ضغط الدم. وبالتالي فإن مجموعة الأعراض التي تحدث بعد مضغ القات، تعتبر مماثلة للأعراض والآثار التي يحدثها عقار الإمفيتامين، وقد تم مؤخراً فصل مادة (-) الكاتينون شبه القلوية "فينيل إيشل أمين"، وتم عزلها عن القات، وقد ظهرت على الحيوانات التي تم حقنها بهذه المادة، نفس الأعراض التي سبق وشوهدت على الأشخاص الذين يمضغون القات. إن مادة (-) الكاتينون هذه تحدث

(١) ما تحت هذا العنوان، منقول بالكامل عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد

نبيل أبو خطوة.

حالة من القلق والأرق المستمرة، وزيادة النشاط والحركة، وفقدان الشهية، وارتفاع في الحرارة. ومن بين الأعراض الخارجية: اتساع حدقة العين، وارتفاع ضغط الدم، إلى جانب تأثير فعال وإيجابي في أذين القلب بعد عزله".

كما لوحظ أن بعض القردة قد استطاعت حقن نفسها بمادة (-) كاتينون، وأن هذه القردة تميل إلى حقن نفسها بكميات كبيرة، ومن ثم فإن (-) كاتينون يمكن اعتبارها المادة الرئيسية الفعالة المستخرجة من أوراق القات، وأنها تعتبر على وجه الخصوص المركب القاتي الذي يحدث ما نسميه (تعاطي القات بالإكراه النفسي). وقد أثبتت المقارنة بين ازدياد النشاط الحركي الناتج عن استعمال (-) كاتينون و (+) أمفيتامين على التوالي، أن الأعراض الناتجة عن هاتين المادتين المكونتين للقات، أعراض مماثلة ومتوازية من الناحية الفارماكولوجية، وأن (-) كاتينون تملك فعالية مماثلة ل (+) أمفيتامين.

وقد أثبتت الاختبارات والتجارب التي أجريت على أنسجة تم عزلها من مركز في المخ، وهو المركز المخي المعروف بأنه يخفف من حدة ازدياد النشاط الحركي الناتجة عن الامفيتامين، أن المادتين الامينيتين لهما تأثير انطلاقي وتحريري على مناطق التخزين الفسيولوجي للكاتيكول أمين، وقد اتضح أن (+) أمفيتامين، مثلها مثل (-) كاتينون، تستطيع أيضاً أن تزيد من تدفق الفعالية الإشعاعية من

الشرائح الزجاجية التي تحتوي على الأنسجة موضوع الاختبار، والتي سبق وأن تم تمييزها بكتابة رمز عليها. وتم إجراء نفس الاختبارات على أنسجة تم عزلها عن المركز المخي، وهو الجهاز الذي نعتقد أنه مسؤول عن التكرير المتواصل شبه الميكانيكي لنفس الأوضاع والحركات الناتجة عن الامفيتامين ومكوناته.

علاوة على ذلك، فقد أجريت بحوث استقصائية لمعرفة ما إذا كان الأثر الانطلاقي والتحرري الذي يحدثه (-) كاتينون على الأنسجة المعزولة من مركز له تأثير أو اتصال بالأنسجة البعيدة عن المركز المخي، والمتعلقة بسطح الجسم. وقد لوحظ أن الشرائح الزجاجية التي تحتوي على أنسجة من أذين القلب، والتي سبق تمييزها بكتابة رمز عليها عندما يتم غمسها في محلول يحتوي على كل من (-) كاتينون و (+) امفيتامين، ينتج عن ذلك ازدياد سريع في تدفق الفعالية الإشعاعية. وهذه النتيجة توضح أن هذا الجانب من التأثيرات الأمينية على المجموع العصبي السمبثاوي، والتي تظهر أثناء تعاطي القات، إنما تنتج غالباً عن انطلاق وتحرر من شعيرات الاتصال في الجهاز العصبي إلى مركز الأوعية الدموية للقلب.

ومن هذا يتضح، أن الأعراض الناتجة عن مضغ القات، يمكن احتسابها على أنها نفس الأعراض الناتجة عن تعاطي (-) كاتينون شبه

القلوي، وكذلك الأعراض الناتجة عن المواد الأخرى المماثلة. وبالنظر إلى مفعول وطريقة عمل هذه المادة شبه القلوية، التي تظهر من الاختبارات التي أجريت، والتي تم شرحها، يتضح أن (-) كاتينون لها نفس تأثير الامفيتامين؛ أي ظاهرة التحرر والانطلاق إلى مراكز تخزين (الكاتيكوأمين). كما يتضح أن الأعراض المركزية أو البعيدة عن المركز المخي، التي تمت ملاحظتها أثناء تعاطي القات، هي في الغالب نتيجة لظاهرة الانطلاق والتحرر المخي هذه، وأن عادة مضغ القات الواسعة الانتشار، تعتبر موازية من الناحية الفارماكولوجية لإدمان (الامفيتامين) تماماً.

* * *

○ تأثير القات الفسيولوجية على الجسم:

وجاء في تقرير الدكتور حكمت، رئيس الهيئة الطبية العثمانية، في سياق حديثه عن تأثير القات على الجسم: إن تأثيراته الفسيولوجية غير معلومة، إلا أن منعه النوم أكثر من القهوة أمر محقق، وتأثيراته الأخرى أيضاً من المحتمل تشبه القهوة. قمت شخصياً - يقصد: رئيس الهيئة الطبية العثمانية - بإجراء التجارب مرات عديدة، وبمقادير وشروط مختلفة، لم أشاهد تأثيراً بيناً للقات، سوى قلة النوم، وقليلاً من عدم الشهية.

ولو نظرنا إلى أقوال أهل اليمن، فإنهم يؤكدون بأن القات يزيد من العطش، لذا تجدهم يشربون الماء بنهم شديد، ومع ذلك، فإن في تركيب القات مادة قابضة، مما يجعل الذين يمضغونه في حالة إمساك مستمر.

ويفهم من كلام العرب، بأن القات الأبيض يؤدي إلى نوع من السكر والخدر، وهكذا، فإن مسألة كون القات يقلل ويمنع النوم والشهية أمر محتم؛ لأن ذلك يفهم من التجارب منذ القديم، حيث كانوا قديماً يطلقون على القات (قوت الصالحين)؛ لأن الأوائل التاركين للدنيا منهم، والمنزوين في المغارات، كانت أقواتهم اليومية مقداراً من القات، مع كمية من الماء، وبذلك كانوا يمتنعون عن النوم، ويتحملون الرياضة والمقاومة.

ولاتصافه بهاتين الصفتين، هناك احتمال مجيء لفظة القات من (القوت)، ومع مرور الأيام، قام الأهالي بتقليد أهل الصلاح بشكل أعمى، حتى أصبح استعمال القات الآن عادة عمت الجميع، كما أظن، هناك احتمال إمكانية استخلاص مادة مؤثرة من أوراق القات شبيهة بالكوكايين".

* * *

○ تأثيرات القات على متعاطيه:

وجاء في البحث الذي كتبه الدكتور/ صلاح الدين أحمد عثمان، أستاذ ورئيس قسم الكيمياء والنبات في كلية العلوم الزراعية والأغذية بجامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية، بعنوان: (التصنيف الكيميائي للمسكرات والمخدرات وتأثيرها البيوكيميائي) قال في القات ما يلي: "وقد أثبتت الدراسات الكيميائية، أن العصارة الورقية لهذا النبات، تحتوي على عدة قلويدات نباتية كلها مخدرة كيميائياً لمادة (الأفيون)، وأهم هذه القلويدات هي: (قاتين، وقاتيدين، وقاتينين)".

ويحدث الأثر المخدر للقات على ثلاثة مراحل، أفاض في وصفها العديد من الباحثين: المرحلة الأولى، عبارة عن نقاش اجتماعي، وملاطفة وتفكير سطحي، وأحلام وخيال جامح وابتهاج؛ وبعد هذه الفترة المنبهة، تأتي مرحلة الانهيار؛ حيث يبدأ الشعور باللامبالاة، والإنهاك، والأفكار القابضة، ومشاعر الذنب، وخلال هذه المرحلة، يحاول الشخص إطالة التأثير المنبه، بتناول عقاقير منبهة؛ ثم تأتي مرحلة الصراع ضد الأرق، والتي تمتد حتى وقت متأخر من الليل. والأرق واحد من التأثيرات المرضية الأساسية للقات، وقد أدى ذلك حديثاً إلى تزايد عدد مستهلكي القات، الذين يستخدمون الحبوب المنومة (الباريتورات والماثاكوالون)، والمهدئات (البنزوديازيبينات)، مع ما في

ذلك من مخاطر أخرى لإدمانها تعتبر أشد وطأة، بالإضافة إلى إدمان القات، وفي النهاية، ومع الساعات المبكرة من صباح اليوم التالي، يستسلم متعاطي القات للنوم، وبعد ليلة كهذه، يقوم عادة من نوم متأخر، وفي حالة بدنية سيئة، شاكياً من الصداع والإرهاق والإجهاد، ولكي يرفع من مستوى أدائه في العمل، يقوم غالباً بشرب عدة أكواب من القهوة أو الشاي، أو زجاجات الكوكاكولا، خلال ساعات عمله المحدودة، ومع نهاية الشهر، عندما لا يتبقى مع متعاطي القات نقوداً لشراء المكيف، يصاب بالإحباط، ويصبح ميالاً إلى النزوات العدوانية، والإهمال والجنوح.

وكما هو معروف، فإن الغالبية من المتعاطين للقات مدمنين عليه، وهم الأكثر عرضة للأضرار الصحية والاقتصادية والاجتماعية، والبعض الآخر من المتعاطين غير مدمنين عليه، فيتعاطونه إما لبعض الأيام فقط، أو المناسبات، أو لساعات قليلة، وعندما تسال أحد المدمنين على القات: لماذا لا تتوقف عن تناوله، نظراً لأضراره الواضحة، أو تخفف منه كأقل تقدير، ليكون تناوله لبعض الأيام، وليس كل يوم؟

فيجيبك: بأنه لا يستطيع، وأنه إذا توقف عن تناوله يوماً واحداً فقط، فإنه يصاب بالكوابيس، أو ما يسمى (الزّازم أو الدّكاك).

وهذا الكلام غير صحيح، وعذر أقبح من ذنب، وأن إرادة وعزيمة هذا المدمن ضعيفة، ومتوهم فقط، وما الفرق بينه وبين الشخص الذي توقف عن تناول القات نهائياً، أو يتناوله في بعض الأيام فقط. فالفرق واضح، وهو قوة وضعف الإرادة والعزيمة.

كما يمكن وصف نمطين رئيسيين للمتعاطي: النوع العرضي الاستهلاك، والنوع المدمن.

▪ النوع العرضي الاستهلاك:

وغالباً ما نجد النوع العرضي بين الأشخاص ذوي الدخل العالية والمتعلمين، وهنا فإن القات لا يستعمل يومياً، ولكنه إما أن يتعاطى في الوقت الحر كعادة ترويجية، أو خلال مناسبات خاصة، ويمكن أيضاً استخدامه كمنبه، لزيادة قابلية الشخص على العمل، والتغلب على بعض المشاكل الشخصية والعابرة. وفي هذه الحالة لا تشكل تكلفة القات عبئاً على دخل الأسرة، ويمكن للشخص التوقف عن تعاطيه، دون حدوث تأثيرات إحباط خطيرة، ومع هذا، فإنه حتى هذه الحالات، يمكن أن يسبب تعاطي القات إرباكاً خطيراً للأسرة، وللحياة الاجتماعية للمستهلك.

■ أما النوع المدمن:

فيوجد أساساً وغالباً في أوساط غير المتعلمين والفقراء، وفي هذه الحالة، يقترن استهلاك القات بالخمول والبطالة، وهنا يحل الاستهلاك اليومي للقات محل النشاط، ويبدو أنه يصبح الهواية الوحيدة في الحياة، وتكون لتكلفته عواقب وخيمة على حياة الأسرة، كحرمان الزوجة والأولاد من ضروريات الحياة.

والواضح أن الجهاز الهضمي يكون هو الأكثر تأثراً، فمن الشائع حدوث أمراض الإمساك، ويلاحظ إضافة إلى ذلك عادة: حدوث التهابات بالفم، وعسر هضم، والتهابات بالمعدة، نتيجة التأثيرات القابضة لحامض التنيك. ومن المظاهر الملزمة، فقدان الشهية، وهي التي تؤدي بجانب عوامل أخرى إلى الإقلال من الطعام، ويكثر الإصابة بالبواسير والفتق، وقد تؤدي شروخ المستقيم إلى التمادي في استعمال المليينات.

ونظراً لضرورة حفظ أوراق القات طازجة، فإن الماء المستخدم لهذا الغرض، قد يسبب في نقل أمراض معدية، وقد سجل حدوث أوبئة كوليرا في الماضي، مقترنة باستخدام القات، كما قد تحدث

حالات تسمم غذائي، نتيجة رش نباتات القات بالمبيدات الحشرية والكيماوية العصرية، المسموحة والممنوعة والمحرمة دولياً.

وإحدى تأثيرات تعاطي القات على الجهاز الدوري والقلبي، احتقان الوجه، والذي يلاحظ عادة على المستهلكين، وغالباً ما يكون ضغط الدم غير مستقر مع ارتفاعه غالباً، وقد تتراكم هذه التأثيرات لتزيد من الحالات القلبية والوعائية الضعيفة، وخاصة في الدماغ. ومن بين العواقب الطبية الكلاسيكية الأخرى: فقر الدم، والضعف الجنسي، وأمراض العيون المرتبطة بانخفاض ضغط العين.

وقد تمت الكتابة بالفعل عن بعض التأثيرات النفسية المتعلقة بتهيج الدماغ، الناتج عن الفعل شبيهة الامفيتامين للمخدر، وفقدان الشهية ظاهرة لازمة أيضاً. وقد تلاحظ أحداث عرضية حادة من الهياج، وحالات ارتباك وهياج مثير، مصحوبة أحياناً بأفعال إجرامية، وعند حدوث انفصام في الشخصية، تبرز المشكلة الصعبة للربط المباشر لذلك مع التخدير بالقات، كما دللنا مسبقاً، فإن بعض ماضغي القات، يتزايد في الوقت الحالي، تعرضهم لإدمان الدوائيات الأخرى والخمور.

ويشير الدكتور اكس ك شورنو، سويسرا: أنه قد استخدمت طرق التحليل: "التحليل الطيفي بالأشعة فوق البنفسجية، والتردد

النووي المغناطيسي، والتفريد السائل فائق الأداء، لتمييز وتحديد كمية أمينات الفينيل الكيل، المؤثرة على الجهاز العصبي المركزي من القات، هذه المركبات النشطة من الناحية العقاقيرية، هي:

- الكاثينون (-) - ٢ أمين - ١ - فينيل - بروبان - ١ -
(ون) (+) نور بسودوافيدرين (سينامويل كاثينون، ٤ -
أمين - ١ - فينيل - ١ - بنتين - ٣ - ون).
- والميروكاثينات الجسمة الثنائية: (ثريو - ٤ - أمين - ٣ -
هيدروكسيل - ١ - فينيل - ١ - بنتان وأرثرو - ٤ -
هيدروكسيل - ١ - فينيل - ١ - بنتين).

تم دراسة عينات نباتية مختلفة: عقاقير تجارية مختلفة المصدر: (كينيا، والجمهورية العربية اليمنية، ومدغشقر)، وأنسجة نباتية مختلفة في مراحل فسيولوجية متباينة. يختلف المحتوى الكلي من أمينات القات بالعقاقير التجارية، تبعاً للنوع والمصدر، ما بين ١٪ (مدغشقر واليمن)، إلى ٥٪ (كينيا) بالنسبة إلى الوزن الجاف.

في عقاقير الأشجار الغضة من كينيا، تزداد نسبة الكاثينون، تبعاً لجودة النوع، حتى أكثر من ٧٠٪، وقد وجد أن معظم الكاثينون بالمادة النباتية المجففة هوائياً، تحول إلى NPENE. يمكن استخدام

النسب التبادلية للست أمينات فينايل الكيل، في التصنيف الكيميائي لمختلف أنواع القات، ونوعيات العقاقير التجارية المختلفة. يمكننا بمساعدة نفس الطرق، التمييز بين عقاقير الأشجار (كينيا)، وعقاقير الشجيرات (اليمن ومدغشقر).



• موقف الشريعة من القات:

إن جميع الشرائع السماوية، قد اتفقت على الكليات الخمس، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض "النَّسل"، والمال. وقد قررت الشريعة أيضاً، أنه يجب دفع الأذى والضرر عن الأفراد والمجتمعات، وأن من أهم مقاصد الشريعة، تكوين الفرد الصالح، وإقامة المجتمع الصالح.

ولذلك أباحت الشريعة الطيبات، وحرمت الخبائث، وأحلت للإنسان الانتفاع بكل ما كانت منفعته خالصة أو راجحة، ومنعته من كل ما كانت مفسدته ومضرته خالصة أو راجحة، وقررت في قواعدها: (أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح)، فإذا تساوت مفسدة الشيء ومصلحته، حرّمته الشريعة بهذه القاعدة الكلية الجامعة.

وبالنسبة لتعاطي القات، فهناك اختلاف بين العلماء (الفقهاء) المسلمين، فهم بين محلل له ومحرم، وكلا الفريقين أصدر فتاوى مسببة تدعم توجهه، منها:

○ الفتاوى التي تحلّ تعاطي القات:

جاء في (الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني)، قال الإمام الشوكاني: "وأما القات، فقد أكلتُ منه أنواعًا مختلفةً، وأكثرْتُ منها، فلم أجد لذلك أثرًا في تفتير ولا تخدير ولا تغيير، وقد وقعت فيه أبحاثٌ طويلة بين جماعةٍ من علماء اليمن عند أول ظهوره، وبلغت تلك المذاكرة إلى علماء مكة، وكتب ابن حجرٍ الهيثمي في ذلك رسالةً طويلة، سماها: (تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات)، ووقفتُ عليها في أيام سابقة، فوجدته تكلم فيها بكلام من لا يعرف ماهية القات.

وبالجملة، أنه إذا كان بعض أنواعه تبُلُغ إلى حد السكر أو التفتير من الأنواع التي لا نعرفها، توجّه الحكمُ بتحريم ذلك النوع بخصوصه، وهكذا إذا كان يضُرّ بعضَ الطباع من دون إسكار وتفتير، حرّم لإضراره، وإلا فالأصلُ الحِلُّ، كما يدل على ذلك عمومات القرآن والسنة^(١).

* * *

(١) الشوكاني: محمد بن علي، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، ج ٨، ص ٤٢١١.

○ الفتاوى التي تحرم تعاطي القات:

من تقارير الخبراء عن القات، يتضح بما لا يدع مجالاً للشك فيه، أن مضاره ظاهرة، وأن مفسده جلية، على الفرد والمجتمع، وما دام قد قرر الخبراء المختصون أنه من المخدرات، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، بسند صحيح، عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «هَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍ».

وقد كان لعلماء الإسلام السبق إلى التحذير من مضار القات ومفسده، والنهي عن تعاطيه، وإحاقه بقائمة المخدرات. ثم قال بن حجر: "لكن القات، لم يكن فيه من الطبع، إلا ما هو مضرة دينية ودنيوية؛ لأن طبعه اليبس والبرد، فلا يصحبه شيء من منافع غيره من المسكرات، التي أشار إليها الشارع؛ لأن سائر المسكرات فيها شيء من الحرارة واللين، فلا يظهر الضرر فيها إلا مع الإدمان عليها، وهذا محصل من الضرر في الأغلب، ما في الأفيون من مسخ الخلقة، وتغير الحال المعتدلة في الخلق والخلق، وهو يزيد في الضرر على الأفيون، من حيث إنه لا نفع فيه يعلم قط، وأن ضرره أكثر، وفيه كثرة يبس الدماغ، والخروج عن الطبع، وتقليل شهوة الغذاء والباءة، ويبس الأمعاء والمعدة وبردها، وغير ذلك".

وقال الشيخ والعالم اليمني الكبير محمد سالم البيحاني - رحمه الله - في كتابه: (إصلاح المجتمع): "ومعلوم من أمر القات، أنه يؤثر على الصحة البدنية، فيحطم الأضراس، ويهيج الباسور، ويفسد المعدة، ويضعف شهية الأكل، ويدر السلاس (وهو الودي)، وربما أهلك الصلب، وأضعف المني، وأظهر الهزال، وسبب القبض المزمن، ومرض الكلى، وأولاد متعاطي القات غالباً يخرجون ضعاف البنية، صغار الأجسام، قصار القامة، قليل دمهم، مصابين بعدة أمراض خبيثة". ويقول في القات شعراً:

إن رمت تعرف آفة الآفاتِ
فانظر إلى إدمان مضغ القاتِ
القات قتل للمواهب والقوى
ومولّد للهَمَّ والحسراتِ
ما القات إلا فكرةً مسمومةً
ترمي النفوس بأبشع النكباتِ
ينساب في الأحشاء داءً فاتكاً
ويُعَرِّض الأعصاب للصدماتِ
يذر العقول تتيه في أوهامها
ويذيقها كأس الشقاء العاتي

ويميت في روح الشباب طموحه
 ويذيب كل مزية وثبات
 يغتال عمر المرء مع أمواله
 ويريه ألواناً من النقمات
 هو للإرادة والفتوة قاتل
 هو ماحق للأوجه النضرات
 فإذا نظرت إلى وجوه هواته
 أبصرت فيها صفرة الأموات

وجاء في توصيات المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات
 والمخدرات، المنعقد في المدينة المنورة، في المدة من: ٢٧-٣٠ / ٥ /
 ١٤٠٢هـ، الموافق: ٢٢-٢٥ / ٥ / ١٩٨٢م، في التوصية بما يلي:
 (يقرر المؤتمر بعد استعراض ما قدم إليه من بحوث حول أضرار القات
 الصحية والنفسية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية، أنه من
 المخدرات الحزمة شرعاً، ولذلك فإنه يوصي الدول الإسلامية، بتطبيق
 العقوبة الشرعية الرادعة على من يزرع أو يروج أو يتناول هذا النبات
 الخبيث)^(١).



(١) نقلاً (بتصرف) عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

• القات والشعر:

قال الأديب الأستاذ أمين الريحاني، في وصف القات: "هو يطرب النفس، ويخدر الحواس، ويشحد الذهن. وأهل اليمن يعتقدون كذلك بأنه يبعث فيهم النشاط، ويقويهم على السهر والعمل في الليل"^(١).

للشعراء والأدباء مناظرات ومجادلات، في مدح وذم القات، منها هذه الأبيات التجنيسية للأديب الشاعر سلطان نعمان البركاني، يقول فيها:

لُقا قاتي علاقتي	بكم في كل أوقاتي
أدرها فهي للأرواح	راح في الوريقات
طحاي قلبي الولهان	في حب الملذات

* * *

يقول الشاعر الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي الصنعاني، في وصفه لأحد الصبيان:

أشبهُ ثغره والقات فيه	وقد لانت لرقته القلوبُ
لآلئ قد نبتن على عقيق	وبينهما زمردة تذوبُ

(١) الريحاني، أمين، ملوك العرب، ص ٩٩.

وهذا مقطع من قصيدة للصوفي الكبير الشيخ عبد الهادي
السودي (ت ٩٣٧هـ)، المشهور في مدينة تعز، يمدح فيها القات:

القات يجلب للأرواح أفراحاً
ويورث القلب تنويراً وإصلاحاً
ويشرح الصدر من همٍّ ومن نكدٍ
حتى يعود بعيد الهمٍّ مُرتاحاً
لأجل ذلك حث الأولياء على
دوام مأكله نصاً وإيضاحاً
هو المعين على الأعمال أجمعها
هو المعيد لليل الهمٍّ إصباحاً

* * *

وهذه القصيدة لشيخ الإسلام في الأصول والفروع، أبي الحسن
صالح بن الصديق النمازي الأنصاري الخزرجي، يقول فيها:

كأن غصون القات من حدنانِ
أُكفٍ من المرجان ذات بنانِ
إذا ما رآها الصالحون تمايلوا
تمايل مرتاح لذوق معانِ

وإن طعموها زاد فيهم نشاطهم
 لدرس مثانٍ لا لضرب مثانٍ
 عليكم بها في كل حين فإنها
 أمان من الأحران أي أمان
 وحرز من الشيطان من داء غلطة
 ومن خطرات النفس نحو عوان^(١)

* * *

وللأديب عبد الله بن الإمام شرف الدين، أشعار كثيرة في القات،
 من جملتها قصيدته المشهورة، التي يقول فيها:

أدر غصوناً يواقيتاً من القات
 زبرجديات أوراقاً وريقاتٍ
 يخلو تناوله قلبي ورؤيته
 طرفي ويخلو به حالي وأوقاتي
 فلونه يحمل الأسرار يودعها
 قلوبنا ثم تسري في السريراتِ
 براه معراج قلبي حين يصعده

(١) المخلافي، عبد الفتاح بن محمد، مرآة المعتبر في فضل جبل صبر، ص: ٢٨، ٢٩.

جبريل قلبي إلى أعلى سماواتي
 زيتونه زيتها الأضواء بها اتقدت
 فتيلة النور في مصباح مشاكاتي
 رأيت قلبي إليه قلبه تاقني
 فليس بدعاً إذا ما تاق للقات
 كل المرادات فيه جمعت فلذا
 توجهت نحوه كل الإرادات
 لين القدود وتلوين الخدود
 وتنعيم الورود ولذات المذاقات
 وكم خصائص تروبيها مشايخنا
 الأثبات عن سادة في الدارين أثبات
 أما ترى قلم الرحمن خط على
 ألواح أوراقه رسم الجلالات
 كله لما شئت من دنيا وآخره
 وجلب نفع ورفع للمضرات
 وأكله منه قال المرشدون بها
 تنوير سر اعتكاف الأربعينات
 فما أردت ارتقاءً في سما نظري

في الكون إلا جعلت القات مرقاتي
 فيرتقي بي إلى أعلى مواطنه
 والرين يذهبه عن وجه مرآتي
 فينجلي في صفا ذاتي فتحسبني
 ذاتاً لله، وأراه أنه ذاتي
 تكسيره منتج في الانتهاء تقى
 وعده عدة فافهم إشاراتي
 قلوب أضلعه تقري وتأمرونا
 إلى تقى في فصیحات العبارات^(١)

* * *

وللفقيه الأديب المحافظ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن عزوى
 الصنعاني أبيات في القات، يرد بها على الشريف أبي هريرة العلاني،
 وكان الشريف المذكور قال أبياتاً شدد النفير فيها على من يستعمل
 أكل القات، ولا أذكرها الآن، قال ابن عزوى المذكور:

نصبت في رفع شأن القات راياتي
 رداً وكم درأت عني دراياتي

(١) المصدر السابق، ص ٢٩.

ولاح في كف عزمي منتضى حججي
 فاعتزّ بالقطع في نفي وإثبات
 وقمت في قومنا بالرّشد منتدباً
 مجهزاً في مقال الغيب غاراتي
 مستمسكاً بكتاب الله معتصماً
 بسنة المصطفى في كل ما آتي
 والحق أبلغ لا يحتاج صاحبه
 من ناصرٍ غير جبار السموات
 لا يحمد الأمر إلا من يذمّ به
 فرع الأباريق أفواه الرّجالات
 للقات أنفق أوقاتي يطول إلى
 أن طوّقت بالنجوم الزهر أوقاتي
 أما يروك من أوراقه حلل
 من سندسٍ في غصونٍ عسجديات
 لا يطرد الغي رشداً حل ساحته
 ولا تخف من به حبل الحبال
 تسودُّ منه جميع المخزيات إذا
 وافا وتبيض أوجاه الربابات

ويعصم المرء من دنيا يغرّ بها
 كأنه ينظر الأخرى بمرآتٍ
 كالودق يحيي غصون القات كأنه
 فيقطف النور من زهر المسراتِ
 كالصبح يعلو فيجلو الشمس مشرقة
 ليل الضلال بأنوار الهداياتِ
 كالصور يجري بجسم لا حراك له
 روح التشايط بأنواع الإراداتِ
 وليس في القات ضُرٌّ مثل ما ذكروا
 فخذ جواباً على قدر السؤالاتِ
 الأصل في القات شرعاً حلّه فمق
 قد جا بتحريمه ربّ السمواتِ
 إذا أحلّ لنا شيئاً يبيح لنا
 يعني بتحريم ما في الشرع لم يأتِ
 القات لا لحم خنزيرٍ فأتركه
 ولا دمٌ واجتنب هذي الدنئاتِ
 لا عيب في القات إلا أنه شجرٌ
 يحى به ذنب أرباب الخطيئاتِ

بدمع دود تجري عين آكله
 إذا استقام بحراب المناجات
 لو رَشَّ من مائه "بقراط" في حدثٍ
 ميتاً لقام فصيحاً بالعبارات^(١)

* * *

وللشيخ العلامة محمد سالم البيحاني أشعار في ذم القات، سنورد بعضها في
 ذيل فتواه في تحريم القات، وقد وأورد في كتابه الشهير: (إصلاح المجتمع) هذه
 الأبيات، ولم يعزوها لأحد، وقال: وصدق شاعرنا القديم:

عزمتُ على تركِ التناول للقات
 صيانة عرضي أن يضيع وأوقاتي
 وقد كنت عن هذا المضر مدافعاً
 زماناً طويلاً رافعاً فيه أصواتي
 فلما تبينَّت المضرة وانجلت
 حقيقته بادرته بالمنأوة
 طبيعته اليُسُّ المُلَمُّ ببرده
 أخا الموت كم أفنيت منا الكراماتِ

(١) المصدر السابق، ص: ٣٠، ٣١.

وقيمة شاربي القات في أهل سوقه
كقيمة ما يدفعه من ثمن القات

* * *

وللشاعر العربي السوري الكبير سليمان العيسى في ذم القات:

سُمِّ به وطنُ الأحرار يقتات
سماً يدمر من عاشوا ومن ماتوا
مقى ستلفظ عنك الداء يا بلدي؟
مقى سيُعدم هذا المجرمُ القاتُ؟!

فرد على بيتيه اللتين ذم بهما القات، الشاعر أحمد يحيى العماد،
حيث قال:

يا شاعر العرب تُروى عنك أبياتُ
إليك وحدك منها يشتكي القاتُ
فلم يكن مجرمًا حتى تحاربه
كلا ولا فيه لو أنصفت علاتُ
لو تمضغ القاتُ يوماً لن تُسميه
سماً وقلت لنا من قاتكم هاتوا

تلقى القلوب التحاماً في تقاربها
 به وتبنى على القات العلاقات
 فارجع عن القول حتى لا يقوم به
 "لقرن إبليس" برهان وإثبات
 أيا "سليمان" لا تحكم على عجل
 ولا يغرنك زيفُ وادعاءات
 فالعدل بالحكم يأتي بعد تجربة
 من مُصدري الحكم أو تدلى شهادات
 "ونيل أوطارنا"^(١) قد قال صاحبه
 "شيخ الهدى" من لأهل العلم مشكاة
 القات فيه انتعاش للعقول بلا
 شك وفيه لذي التحصيل طاقات
 ولم أجد فيه ضراً بل وجدتُ به
 نفعاً إذا مُضغت منه وريقات
 ولا يفتّر أعصاباً ويُرهبها
 ولا بكثرته سُكّر ونشوات

(١) إشارة إلى: "نيل الأوطار" أحد مؤلفات العلامة محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، المولود في ٢٨ ذي القعدة سنة ١١٧٢هـ، والمتوفي ٢٧ جماد الآخرة ١٢٥٠هـ.

وفي مجالسه للعلم مدرسة
 مفيدة وبها تقوى الصداقات
 فعنده القات إحدى الطيبات وفي
 أغصانه لذوي الأتعاب راحات
 يا شاعر العرب لا تقطع مودته
 إذ فيه نفعٌ وتأليفٌ وطاعات
 وخير ساعات مضغ القات ينسبها
 إلى سليمان أحياء كمن ماتوا
 وإنها ساعة الإبداع قد نسبت
 إليك حيثُ بها للشعر ومضاتُ
 وموطنُ القات مهد العرب قد وصفت
 شوره بالحكم في القرآن آياتُ
 نبع الحضارات والتاريخ يشهد أن
 لولاه في الأرض ما قامت حضارتُ
 وأن لولا اليمانيون ما خفقت
 لدعوة الحق في الأمصار راياتُ
 وما مضغ القات ما لانت إرادته
 لغاصب ما انخت للظلم هاماتُ

وإن تحكم جباراً وطاغيةً
 في الشعب حيناً أبادته البطولاتُ
 لا تُعدم القات ظُلماً في زراعته
 للناس رزقاً وإسعاداً وخيراتُ
 بين المقيمين في ريفٍ وفي حضرٍ
 به الدخولُ تساوت والبناياُ
 ولم تغادر بلاد القات ثروته
 ولا تباهت بها في الغرب حاناتُ

* * *

وهذا جواب الجواب للشاعر عباس علي المطاع:

ذادت عن "القات" (...) أبياتُ
 "لابن العماد" وآراء سديداتُ
 أجاب شعراً على شعرٍ وعززه
 نقداً على نقد من قد ساءه "القاتُ"
 وكان أول شيء فيه أقنعني
 عتبٌ، به سرّ أحياءٍ وأمواتُ
 كفاهمُ خطر السم الخيط بهم

رأيٌ حُصِفَ له في "القات" المسافاتُ
 فهاج شوقي إليه بعد أن بُعدت
 بيني وبين ذوي "القات" المسافاتُ
 ورغم نقدي له فيما مضى، غلبت
 عليّ فيه تقاليد وعاداتُ
 يابن العماد رعاك الله إن لنا
 عهداً مع القات تحييه الصباباتُ
 والعهدُ عند "اليمانين" يحفظه
 صدق إذا عاهدوا ما منه إفلاتُ
 أعطيت صوتك غُصن القات مقتنعاً
 به، وكم تُطرب الأغصان أصواتُ
 فكنت فيه فقيه الرأي مجتهداً
 وجلّ فقهه ورأي واجتهاداتُ
 لو أن للقات بعض العيب ما فُتنت
 جُيوبُنَا في هواه، والريالاتُ
 وهل نهانا حديثٌ عنه أو نزلت
 بالنهاي عنه، مع القرآن آياتُ؟!
 كلا، ولا عاب "زابور" به أحداً

أو صدهُ عنه "انجيل" و "توراة"
 فهاك صوتي مقروناً بصوتك في
 فتواك من بالحبيب "القات" يقتات
 وكيف أنسى الغُصون المُسرعات لهُ
 كأنها لجنود القات راياتُ
 كم سَرَّنا من مَقْبِلٍ فيه كم سَمَرٍ
 صفا، وكم عذبت فيه الفكاهاتُ
 وكم تلاشت هموم فيه حين طغى
 لُطفُ الحديث عليها والدُعاباتُ
 القاتُ جامعةٌ خضراءكم نبغت
 فيها عقولٌ وأفكارٌ مُضيئاتُ
 والقاتُ قاتلٌ وقتٍ، غير أن له
 فَنّا من الذوق تحيا فيه أوقاتُ
 ما أمتع القات عند العارفين به
 لو أنهم أصبحوا منه كما باتوا

* * *

وللقاضي علي بن يحيى الإرياني قصائد عديدة في ذم القات،
 نكتفي منها بهذه القصيدة:

تولعتم بالقات والقات قاتلُ
وفي حذف حرف اللام منه دلائلُ
وكم قد رأينا من رجالٍ تولعوا
فقد ثكلتهم بعد ذاك الثواكلُ
إضاعة مالٍ ثم فقرٌ وفاقةٌ
وبسّ يضر الجسمَ والجسم ناحلُ
وما هو إلا الضر من غير شبهة
ويقطع بالإكثار منه التناسلُ
ومنه يزول العقل من غير مرية
ومنه السهاد الأعظم المتناولُ
وكم فيه من داء عظيم وإنما
لأجل التداوي بعضه يُتناولُ
قليلاً لإذهاب البخار وإنه
يضرّك أحياناً وتلك قلائلُ
ولكنه من بعد يورث غمة
على القلب منه الكرب لا شك نازلُ
فلا تكثروا من أكله يا أحبتي
وقد يقبل النصح الرجال الأفاضلُ

وقدُرُ الذي يعطي المريض تداوياً
 ثلاثاً من الربط الذي يتفاضلُ
 يكون ملان الكف دون زيادةٍ
 وقدر الذي يعطي الصحيح الحلاحلُ
 إلى ربطةٍ والخير في نصف ربطةٍ
 فهذا الذي أوما إليه الأوائلُ
 ومن رام قولاً غير هذا فإنني
 أحاكمه يوماً بما هو قائلُ

* * *

وكان الإمام يحيى من الذين (يخزنون)، وله حماسة غريبة في الدفاع عنه، يحدثنا الرجائي في كتابه: (ملوك العرب): أن رفيقه في الرحلة - الأديب السوري قسطنطين بني - ثار وهجا القات، فانبرى له الإمام يحيى وعارضه بقصيدة من فيض الخاطر، فذكر عشرّاً من مزايا القات، منها:

فللعيون جلاءٌ	للضعف منه ذهابٌ
وللثغور صباغٌ	زمردى يذابُ
أحسن بثغرٍ مليحٍ	له المذاب رضابُ!
يا ما أحيلاه ظلماً	تحتفي به الأجابُ

وللنفوس مـريـحٌ	وللنشاط انجذابٌ
ويشـحـذ الفكر حـتى	يخاف منه التهابٌ
ويطرد النوم عن من	له المجلس كتابٌ
أما الذي قاله قسـ	طنطين فهو سـرابٌ
أليس من جاوز الحد	أكله والشـرابُ
يكون عرضـه خسـر	ويعتريه اكتئابٌ
والأكل والشرب ما لا	به الكرام تعابٌ
وانما العيب إسراف	منه يبدو العُجابُ
هذا الملفق يا قسـ	طنطين منا جوابُ
يهدى إليك، عليه	من الحياء نقابُ
لأنه ليس كفاءٌ	للدن وهو ترابُ
فاستر ملفق يحيى	فالستر فيه الثوابُ

* * *

فرد على قصيدة الإمام يحيى السالفة الذكر، الأديب السوري
قسطنطين يني، الذي زار اليمن بصحبة أمين الريحاني، عام ١٩٢٢م،
بالقصيدة التالية:

القات فيه عـجـابٌ	كما يقول الصـحـابُ
درّت به الشاة لما	أن طاردها الذئابُ

ذاقته فاستعذبتة	وسال منها اللعابُ
أمسى يجمع منه	حتى تملأ الجرابُ
مشى يحدث عنه	وفي الحديث الصوابُ
فصدقه وذاقوه	مثلته واسـتطابوا
ما نفعه أنبؤني	هل عند شخص جوابُ
جربته واختباري	يجدي به الإسهابُ
تنتاب جسم الفتى قشـ	عريـرة والتهابُ
وفيه يفعل ما لا	يقوى عليه الشرابُ
والصدر فيه من الوحـ	ز والعذاب خرابُ
والنسل يضعف منه	ما في كلامي ارتيابُ
لا نفع في القات لكن	فيه الشقا والعذابُ
وتزهق النفس منه	والقلب والأعصابُ
والجفن يذبل حتى	يغشى العيون سحابُ
وسوء هضم وقبض	منه يغيب الصوابُ
والرأس يثقل وطئاً	وبالدوار يصابُ
ويعتري بعد هذا الـ	مفاصل الاضطرابُ
بالبن عنه استعوضوا	فالبن منه اكتسابُ
وسوقه رابحٌ في الدنـ	يا عليه طلابُ
هذا نتيجة خبري	ما في كلامي ارتيابُ
ستدركون بياني	متى أميط النقابُ

في تركه آل ودي أجر لكم وثواب
لم يبق أرخت: (ريباً للقات، للقتل باب)

* * *

وللشيخ القاضي محمد الصادق المراني، قصيدة في ذم القات،

منها:

أَجَبَّةَ الْقَلْبِ فِي عِزٍّ وَمَكِينِ
يَا إِخْوَةَ الْحَقِّ وَالْإِسْلَامِ وَالِدِينَ
إِنِّي لَأَرْجُو وَمَا خَابَ الرَّجَاءُ بِكُمْ
أَنْ تَقْبَلُوا كَرَمًا نَصَحِي وَتَبَيَّنِي
قَدْ يَفْعَلُ الْمَرْءُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
وَتَقْبَلُ النَّفْسُ تَزِينَ الشَّيَاطِينِ
قَالَ الصَّحَابُ، وَفِي أُذُنِي مَقَالَتُهُمْ:
أَفْصَحْتَ يَا صَاحٍ عَنْ شَكْوَى الْمَلَائِكِينَ
يَا لَيْتَ فِتْيَةٍ قَوْمِي يَعْلَمُونَ فَكَمْ
تُخْفِي النُّعُومَةَ أُنْيَابَ الثَّعَالِينِ
أُنْيَابَ سُمِّ ضَحَايَاهَا بُنُومَيْنِ
أُنْيَابَ قَاتٍ وَتَكْيِيفٍ وَتَخْزِينِ

الْقَاتُ فَاقِرَةٌ كُبرى وَمَفْقَرَةٌ
 وَالْقَاتُ يَلْدَعُ فِي شَقَى الْمَيَادِينِ
 الْقَاتُ شَوْهَنَا وَالْكِيفُ تَوَهَّنَا
 وَالْقَاتُ أَثَخَّنَا مِنْ أَلْفِ سَكِينِ
 وَالْقَاتُ حَقًّا هُوَ الشَّيْطَانُ مِنْ شَجَرِ
 قَالَ الزُّبَيْرِيُّ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ حِينِ
 قَدْ دَمَّرَ الزَّادَ وَالْأَجْسَادَ فِي عَجَلِ
 ثُمَّ اغْتَدَى بِالرَّشَاوَى وَالسَّرَاطِينِ
 جُلُّ الإِذَارَاتِ حَقُّ الْقَاتِ رِشْوَتُهُمْ
 شِعَارُ أَكْثَرِهِمْ: (بِالْقَاتِ تَشْرِبُنِي)
 قَدْ سَرَطَنَ الْفَكَ وَالْبُلْعُومُ ثُمَّ مَضَى
 أَيْضًا فَسَرَطَنَ فِي بَطْنٍ وَقُولُونَ
 شَعْبٌ يَنْزِلُ غَدَا الْأُرْدُنُّ مَقْصِدَهُ
 وَالْهِنْدُ وَالسِّنْدُ يَا لِلْهَوْلِ وَالْهُونِ
 ضَاعَتِ مَلَائِينُ فِي الْإِسْعَافِ مَا نَفَعَتْ
 يَا وَيْحَ شَعْبِي وَيَا وَيْحَ الْمَلَائِينِ
 غُولُ الْمُبِيدَاتِ زَادَ الْقَاتَ غَائِلَةً
 كَمْ مِنْ دَفِينٍ عَلَى آثَارِ مَدْفُونِ

وَالْعُؤْلُ فِي الْقَاتِ مِثْلُ الرُّوحِ فِي جَسَدِ
 لَا قَاتَ فِي الْيَمَنِ الْمَحْزُونِ مِنْ دُونِ
 حَتَّى الْيَهُودُ تَنَادَوْا يُتَحِفُونَ بِهِ
 مَزَارِعَ الْقَاتِ مِنْ أَقْصَى فَلَسْطِينِ
 يَا ضَيْعَةَ الْأَهْلِ بَعْدَ الْقَاتِ عَنْ أَمَلٍ
 فِي الْعِلْمِ فِي الْأَكْلِ فِي دِفْءِ الْبَطَاطِينِ
 قَدْ غَوَّرَ الْمَاءَ فِي بئرٍ وَفِي بَشَرٍ
 ثُمَّ ارْتَوَى الْقَاتُ مِنْ دَمْعِ الْمَسَاكِينِ
 مَاذَا سَتَشْرَبُ فِي صَنْعَاءَ بَعْدَ غَدٍ
 عُصَاةَ الْقَاتِ أَمْ تَجْلُؤُوا إِلَى الصَّيْنِ؟!
 وَالنَّفْسُ نَافَسَهَا الْمَأْوَى فَشَتَّتَتْهَا
 دَاءُ الْفِصَامِ وَوَسْوَاسُ الْمَجَانِينِ
 وَالْأَرْضُ لَمْ يَرْضَ حَتَّى ضَرَّ سَاحَتَهَا
 فِي كُلِّ عَامٍ بِآلَافِ الْقِدَادِينِ
 وَنَكَلَ الْقَاتُ بِالْأَقْوَاتِ مُكْتَسِحًا
 زَرَاعَ الْحُبُوبِ وَأَثْمَارَ الْبَسَاتِينِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي لَوْ الطَّاغُوتُ حَاصَرَنَا
 هَلْ نُشِيعُ الْجُوعَ مِنْ قَاتٍ وَتَخْزِينِ!

تَرَى الْيَمَانِينَ كَالْأَشْبَاحِ شَاحِبَةً
 لَهْفِي عَلَيْكُمْ أَيَا شَعْبَ الْمَيَامِينِ
 وَالْقَاتُ يُفْتِي بِحُشْرِ الْقَاتِ فِي فَمِنَا
 عِنْدَ الصَّلَاةِ، فَمَا قَوْلُ الْأَسَاطِينِ؟!
 فِي حِينٍ تَحْتَلِفُ الْفَتَوَى بِغَيْرِ هَوَى
 لَوْ كَانَ بِالْحُبْرِ لَا بِالْقَاتِ تَحْزِينِي
 وَالْحُبْرُ أَشْرَفُ مِنْ قَاتٍ أُخْزِنُهُ
 لَكِنَّهُ الْكَيفُ أَفْتِيهِ وَيُفْتِيَنِي
 كَمْ يَفْتِكُ الْقَاتُ بِالْأَوْقَاتِ يَقْتُلُهَا
 وَالْوَعْدُ يُقْسِمُ إِنَّ الْقَاتَ يُلْغِيَنِي
 حَتَّى الْمَسَاجِدُ تَبْكِي وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 الْهَجْرُ وَالْجَمْعُ جَمْعُ الْقَاتِ يُبْكِيَنِي
 يَا زَارِعِي الْقَاتِ إِخْوَانِي أَنَا شِدْكُمْ
 وَبَائِعِي الْقَاتِ طُرّاً دُونَ تَعْيِينِ
 يَا إِخْوَةَ الدِّينِ هَلْ تَرْضَى أُخُوَّتُكُمْ
 بِغَايَةِ الضَّرِّ لِلْإِخْوَانِ فِي الدِّينِ؟!
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَالْأَرْزَاقُ وَاسِعَةٌ
 مَا أَضْيَقَ الرِّزْقَ مِنْ جِيبِ الْمَغَايِينِ!

قَالُوا التَّغَاضِي هُوَ الْأَوَّلَى فَقُلْتُ لَهُمْ
 كَيْفَ التَّغَاضِي عَلَى أَفْعَالٍ تَنِينِ؟!
 جُلُّ الْعِبَادِ بِأَرْضِ اللَّهِ هَمَّتُهُمْ
 عِنْدَ الثَّرِيَّا بِلا قَاتٍ وَتَخْزِينِ
 قَدْ حَارَبُوا الْقَاتَ فِي شَتَّى الْبِلَادِ فَمَنْ
 مَنْ يَا ثُرَى فِي الْوَرَى أَهْدَى الْفَرِيقَيْنِ؟
 وَنَحْنُ أَسْرَى خِيَالِ الْقَاتِ هَمَّتَنَا
 أَنْ نُنْتِجَ الْوَهْمَ تَدْشِينًا بِتَدْشِينِ
 بِالْقَاتِ بَعَثَرَةُ الطَّاقَاتِ دُونَ هُدًى
 مِثْلُ الْحَرَائِقِ طَاقَاتٍ بِلا صَوْنِ
 يَا وَيْحَ كُلِّ أَخٍ لِلْقَاتِ غَضَبَتُهُ
 هَلَّا غَضِبْتَ لِإِهْدَارِ الْمَلَائِينِ؟!
 فَهَلْ كَفَى إِخْوَةَ الْإِيمَانِ مِنْ يَمَنِ
 مَا يَفْعَلُ الْقَاتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ؟!
 الْقَاتُ أَوْصَدَنَا وَالْقَاتُ صَفَّدَنَا
 وَالْقَاتُ جَمَّدَنَا طِينًا عَلَى طِينِ!
 تَصَوَّرُوا الْحَالَ لَوْ كَانَ الرَّسُولُ هُنَا
 وَالْقَاتُ فِي النَّاسِ سُلْطَانُ الدَّوَاوِينِ

وَالْحَلْدُ يَشْتَدُّ كَالْبَالُونِ مُنْتَفِخاً
وَالْفَلَكُ مَا انْفَكَ مِنْ دَقٍّ وَتَطْحِينِ
وَالْمَرْءُ خَجَلَانٌ مِنْ نَشْرِ وَمِنْ صُورِ
هَلْ كُنْتَ تَدْخُلُ فِي سِلْكِ التَّخَاذِينِ؟!
وَاحْسَرَّتَاهُ عَلَى عِلْمٍ وَتَرْكِيقَةٍ
إِنْ خَالَطَ الْقَاتُ ثُمَّ الْكِيفُ هَذِينَ!
تَرْتِي الإِمَامَةَ فِي الإِسْلَامِ ذَا وَلَعٍ
مَنْ يَفْقِدُ الصَّبْرَ فِي بَعْضِ الْأَحَايِنِ
يَا مُوَلَعاً وَلَعاً بِالْقَاتِ مَعْدِرَةً
مَا الشِّعْرُ إِلَّا صَدَى الْمَأْسَاةِ تَكْوِينِي!
كُلُّ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
مِمَّا جَنَى الْقَاتُ فِي غَمٍّ وَتَحْزِينِ
هَلْ نَبْلُغُ الْمَثَلَ الْأَعْلَى وَنَحْنُ عَلَى
مَا أَسَّسَ الْقَاتُ مِنْ وَهْنٍ وَتَوَهِينِ؟
دَعِ مَا يَرِيبُ إِلَى مَا لَا يَرِيبُ وَدَعِ
مَا يُخْرِجُ الْمَرْءَ فِي عِرْضٍ وَفِي دِينِ
يَا لَيْتَ أَنَّ لَنَا مِنْ صَبْرِنَا مَدَدًا
حَتَّى نُودِّعَ مَأْسَاةَ التَّخَاذِينِ

إِيَّاكَ تَمَضَّغُهُ هُمُورًا وَتَجَرَّبَهُ
 مَنْ جَرَّبَ السُّمَّ أَمْسَى فِي الْمَدَافِينِ!
 وَالْقَاتُ أَفْتَتُهُ الْإِدْمَانُ رَبُّ أَخٍ
 مِنْ مَرَّةٍ وَحَدَهَا ذَاقَ الْأَمْرَيْنِ!
 فَاسْتَعَصِمُوا أَبَدًا بِاللَّهِ يَعِصِمُكُمْ
 بِالصَّوْمِ بِالْحَجِّ فِي عَزْمٍ بِلَا لِينِ
 كَمْ عَادَةٍ طُوِيَتْ بِالصَّوْمِ حِينَ طَغَتْ
 وَعُمْرَةٌ حَرَّرَتْ حُرًّا مِنَ الدُّونِ
 خُلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنْ تُصْغُوا لِنَاصِحِكُمْ
 يَا إِخْوَةَ الْحَقِّ وَالْإِسْلَامِ وَالِدَيْنِ
 كُفُّوا عَنِ الْقَاتِ وَالتَّخْزِينِ وَاخْتَرِفُوا
 يَا لِلتَّعَاسَةِ فِي قَاتٍ وَتَخْزِينِ!

* * *

وهذه ثلاث منظومات، أولاهها (نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان)، ثم الرد عليها، ثم الرد على الرد، وقد أكتفينا بإيراد ما يتعلق منها بالقات، وباختصار شديد؛ حيث المقام لا يتسع لإيرادها كاملة.

(نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان) للشيخ
حافظ بن أحمد الحكمي، وهي (٤٢) بيتاً:

حمداً لمن أسبغ النعما وأهمننا
حمداً عليها بألطف خفيات
ثم الصلاة بتسليم تدوم على
محمد المصطفى خير البريات
يا باحثاً عن عفون القات ملتمساً
تبيانته مع إيجاز العبارات
ليس السماع ك رأي العين متضحاً
فاسأل خبيراً ودع عنك الممارات
ومنها ما يتعلق بالقات:

لقد عجت لقوم مولعين به
وهم مقرون منه بالمضرات
في الدين والمال والأبدان بل شهدوا
بسكرهم منه في جل المحلات
إني أقول لشأريه وبائعيه
إن لم يتوبوا لقد باؤوا بزلات

قالوا أتى الخضر المشهور يحمله
حاشا النبيون من حمل القذورات

* * *

الرد على (نصيحة الإخوان)، للشيخ يحيى بن محمد بن المهدي،
وهي (٥٠) بيتاً:

وافى نظام غريب في الوريقات
مصدر بثنا رب البريات
فالحمد لله حمداً لا انقضاء له
حمداً يقدر في أعلى السموات
ثم الصلاة على المختار منقذنا
من الضلال وأنواع الغوايات
إليك عني جواباً لا أريد به
فخرًا ولا جدلاً فاسمع مقالتي
خذ الجواب ودع عنك السراب ولا
تعيب أبناء جنسك بالبذاءات
كف السباب وأقصر في العتاب ودع
ما ليس يعينك وأجمل في الخطابات

هل كان ذا اللوم للقوم الأولي اهتمكوا
 على الدنان وأنواع المدامات
 ما كان أحسن إهمال الفضول لدى
 أهل العقول وأرباب الديانات
 قد افتريت مقالاً أنهم شهدوا
 بسكرهم منه في جل المحلات
 ويل لمن كان داء الجهل قاتله
 ملق له في قواميس الضلالات
 عبت لا عن دليل بل مجازفة
 هات الدليل وأنصف في الجدالات
 أنى لك اليوم ذا التحريم جئت به
 لقد أسأت بقبح الاعتراضات
 إن المعدات في المحظور قد حصرت
 في الذكر والنهي عن خير البريات
 كفى من الذكر ما في الآتين لمن
 تأمل الذكر أثناء التلاوات

ومنها هذه الأبيات التي أبدع فيها بوصف القات:

يا حبذا القات ما أحلى مجالسه
 بالذكر شيد لها وحفت بالعبادات
 كم صافحته نسيئات الصبا سحراً
 وباكر الظل منه أغصان رطيات
 نفس أغصانه الحمراء في حلل
 خضر على العود في أعلى المقامات
 برد قشيب على لين القدود ولد
 أطيّار ترديد أنغام بأصوات
 نعم الأنيس لمن كان الجليس له
 أسفار علم وكشف للمهمات
 كأنما أودع الرحمن جوهره
 سرّ معين على نيل المرامات
 قد قال أسلافنا الغر الكرام من الـ
 أخيار في القات من عرب وسادات
 هو الحلال لشاربه وبائعاه
 والمستطاب لدى أكل ولذات
 هو المعين على الأعمال أجمعها
 هو المعين على كل العبادات

هذا، وكم فيه من نفع لا كله
 من شحذ فكرٍ ونفي للهموماتِ
 كله لما شئت من دنيا وآخره
 قالوا بهذا، تأمل في النصوصاتِ

* * *

(تأييد نصيحة الإخوان) للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، رداً
 على رد الشيخ يحيى بن محمد بن المهدي، وهي (١٤٩) بيتاً، منها بعد
 حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ والآل والصحب الكرام، قال:

يا منكراً حكم ما أملت في القاتِ
 وفي الدخان وأنواع الدنيئاتِ
 وما ذكرت على دعواك مستنداً
 ولا أجبت بشيءٍ عن سؤالاتِ
 ولم تقيد من البرهان مطلقه
 ولا أتيت بتخصيص العموماتِ
 ولا رددت صفات الذمّ عنه ولا
 ما فيه بينت من نوع المضراتِ
 ألا دليلٌ ألا برهانٌ توضّحه

ألا نصوصٌ بها قطع الجدالاتِ
فخذ جوابك مبنياً على نصِّفٍ
مؤيداً بالبراهين الجلياتِ
أما الذي قلت من ذكر العتاب ومن
سبِّ وشتِّمٍ وقُبْحِ الاعتراضاتِ
فما عتايي إلا النصح أخلصه
ولا سبائي من جنس البذاتِ
وما يحسن إهمال الفضول لدى
أهل العقول وأرباب الدياناتِ
فذاك أحكم قول لو عملت به
ما كان دعواك في نصر الفضولاتِ

إلى آخر المنظومة.

☆ ☆ ☆

• تأثيرات القات الاجتماعية، وجوانبه الإيجابية:

قبل أن ندخل في أضرار القات الفادحة، في الجوانب الصحية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، نود أن نشير إلى ما يذاع، أن للقات تأثيرات اجتماعية، وجوانب إيجابية، وفوائد كثيرة، سنتطرق لها بشكل موجز، وعلى النحو الآتي:

○ التأثيرات الاجتماعية للقات:

تعتبر مجالس القات واحدة من النواحي الإيجابية لظاهرة القات، حيث يعتبر مجلس القات، الذي يعرف بالمقيل، لقاءً للتعارف والعمل، والملتدى الأدبي والشعري، وكذلك الساحة الفكرية والسياسية لمنتسبي هذه المجالس، فهو يتيح الفرصة للتعارف وتبادل المعلومات والأفكار. ومن الملاحظ أن مجالس القات دائمة التغيير والانضمام إلى هذا المجلس (المقيل) أو ذاك، مسألة طوعية في الغالب الأعم، يتساوى فيها الفقير والغني، وتبادل فيها الأحاديث الودية بدون تحفظ، ويخلق فرصاً لتقوية العلاقات الاجتماعية، والنضوج الثقافي، وإنجاز الأعمال، وفض المنازعات، وحل الخصومات، والمجاملة في المناسبات العامة والخاصة^(١).

(١) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص ١٤.

○ الجوانب الإيجابية للقات:

وفي هذا السياق يمكن التطرق إلى الجوانب التي يمكن أن تحتسب كإيجابيات لحصول القات، ويؤثر فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويمكن إيجاز أهمها على النحو التالي:

(١) حماية المدرجات الجبلية: كون القات يزرع في المدرجات الجبلية بصورة أساسية، وذات مردود اقتصادي كبير، فقد أدى ذلك إلى اهتمام مزارعي القات في هذه المناطق إلى الاهتمام بالمدرجات وصيانتها، والتوسع فيها، مما أدى إلى الحفاظ على التربة التي جمعها الإنسان لفترات طويلة من الزمن، بالإضافة إلى الحفاظ على الغطاء النباتي فيها.

(٢) ازدهار المناطق الريفية: إن للقات مردود اقتصادي عالٍ، ساعد على تشجيع الناس على البقاء في الريف، والاهتمام بالبنيات الأساسية فيها، مثل: صيانة الطرقات، وبناء المنازل والمدارس وحواجز المياه وغيرها، والعمل على إيصال الخدمات العامة إلى الريف. يؤدي ذلك مع مرور الوقت إلى ذوبان الفرق الشاسع بين الريف والحضر، بالإضافة إلى إيجاد فرص العمل للكثير من الناس.

(٣) الهجرة: تعتبر الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة أو الخارجية، واحدة من أهم المشاكل السكانية التي تعانيها الكثير من دول العالم، والذي

يؤدي إلى توسع المدن بشكل مخيف، في الوقت الذي تكون فيه الخدمات وفرص العمل محدودة جداً، الأمر الذي يؤدي إلى البطالة، وبالتالي الانحراف، ومن الجوانب الإيجابية التي يمكن أن تحتسب للقات، أنه يشجع قطاعاً واسعاً من الناس على البقاء في الريف، للقيام بالعمليات الزراعية المختلفة للقات، بما في ذلك تسويقه.

(٤) يعد محصول القات مصدراً أساسياً لمعيشة عدد كبير من السكان، يقدر بحوالي (١٠٠ ألف أسرة)، وتقدره دراسة المنظمة العربية (١٩٨٣م)، بحوالي (١٧٥,٠٠٠ أسرة)، وهذا عامل مهم يجب وضعه بعين الاعتبار عند صياغة أي سياسة أو إستراتيجية للقات في المستقبل.

(٥) مساهمة القات في حركة رؤوس الأموال وتدويرها، وإعادة توزيع الثروة في المجتمع، وبالتالي تنشيط الحياة الاقتصادية الداخلية في البلاد^(١).

إلى آخر ما هنالك من الجوانب الإيجابية العديدة للقات، نكتفي بهذا تحجباً للإطالة.

* * *

(١) المصدر السابق، ص: ١٥، ١٦.

○ ومن فوائد القات:

فوائد القات ذاع صيتها بشدة، وخاصة في اليمن، وقد نسمع عنها، وما تسببه من مكاسب صحية عديدة، تظهر على الحالة النفسية والجسدية لمتناول القات، وبالتالي تقدم على تناوله كأحد الأعشاب الطبية المفيدة، وعلى ذلك يمكن حصر فوائد القات بالنقاط الآتية:

- ✓ تمتين العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.
- ✓ إعاقة انتشار سلوكيات خبيثة، كتعاطي المخدرات والخمور مثلاً.
- ✓ علاج للاكتئاب.
- ✓ علاج للإرهاق والحمول.
- ✓ علاج لتحسين الحالة المزاجية.
- ✓ علاج للزكام.
- ✓ علاج للسمنة المفرطة.
- ✓ كما أن فوائد القات للنساء، قد تتضمن زيادة الرغبة الجنسية، وزيادة الخصوبة وغيرها.

وتظهر تلك الفوائد عند بداية التعاطي فقط، ولكن سرعان ما تتطور لأضرار صحية بالغة في المستقبل، عند بعض متعاطي القات، إلى درجة الإدمان، وتحتاج بالتالي إلى علاج إدمان القات.

الفصل الثاني

أضرار القات الفادحة

• الأضرار الصحية:

○ التركيب الكيميائي للقات وتأثيره على صحة الإنسان:

تم اكتشاف المكونات الكيميائية للقات في فترات مختلفة، ولكل من هذه المكونات تأثيرها الصحي على جسم الإنسان، وهذه المكونات هي: (الكاثينون - الميثاكاثينون - الكاثين - نورإيفدرين - الكاثيديولينز - التأنينات القابضة - الفلافونيدات - مركبات متطايرة - فيتامينات وعناصر ومواد أخرى)^(١).

وأما التأثيرات التي يحدثها القات في متعاطيه، فبداية يحس باتساع عينيه، مع نوع من النشوة والتخيلات لمدة ساعتين، ثم يبدأ في الحمول والحمود والضعف، وأنه يحدث بسبب تناول القات، اضطراب في الجهاز الهضمي، والضعف الجنسي، وخروج شيء من الإنسان يشبه الودي. وهناك أضرار كثيرة تنجم عن تعاطي القات، منها:

أ- التأثيرات على الأسنان ومشاكل الفم:

تكثر أمراض التهاب الفم وحول الأسنان بسبب مضغ القات، ويشيع بين الماضغين الرأي، بأن أصناف كثيرة من القات، تنتج بصورة

(١) النجار، أسماعيل محمد، ظاهرة القات والصحة العامة والقموية، ص ٩.

جلية التهابات، وتخلل الأسنان، كما تسبب تقرحات مزمنة في الفم واللثة واللسان، مما يعد سبباً من أسباب انبعاث رائحة الفم الكريهة، كما يؤدي إلى ارتخاء اللثة، مما ينتج عنه ضعف في اللثة والأسنان كذلك.

○ القات والتأثيرات الفموية:

يتم تخزين القات ومضغه، وامتصاص جزء كبير منه، وتأثيره في الفم، وعلى الرغم أن كثيراً من الدراسات قد تحدثت عن القات، وتأثيراته المختلفة على الجسم، ولم تعط الفم وأنسجته الاهتمام الكافي. وعلى اعتبار أن الفم هو المكان الذي يتم تخزين القات فيه، لذلك من الضروري دراسة تأثير القات المباشر أو غير المباشر على أنسجة الفم والأسنان، ومن ثم الانطلاق لجوانب الجسم المختلفة، كدراسة متكاملة، تميز بين الرئيسي والثانوي، وبين المباشر وغير المباشر.

لقد خلق الله الفم والأسنان لتناول الطعام والشراب، لفترات محدودة، لا تتعدى الدقائق، وأن استخدام الأسنان وأنسجة الفم المضغ وتخزين القات لفترة خمس ساعات يومياً مبالغ فيه، واستهلاكاً لأنسجة الفم والأسنان، بل وخلق أمراض ومعاونة للفم والأسنان^(١).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١٣.

■ تأثير القات على أنسجة الفم والأسنان:

يمتاز تأثير القات على أنسجة الفم والأسنان على سائر أجهزة الجسم، بتأثيره الميكانيكي على أنسجة الفم والأسنان، نتيجة مضغ القات بالفم لفترة طويلة، ويؤدي إلى:

(١) تراجع أنسجة اللثة: يتم تراجع اللثة بفعل المصنع الميكانيكي الذي يؤدي لانحسار اللثة، هذا الانحسار، إما أن يكون بطيئاً وخفيفاً وتراكيمياً، ويترافق مع تكون طبقة كيراتينية لمقاومة عملية المضغ الميكانيكي، وهذه أكثر الحالات حدوثاً.

ولكن أكثر الحالات خطورة، هي الحالة التي تصاب فيها الأنسجة الداعمة، من لثة وعظم وأربطة بالتهابات حادة، نتيجة الفعل السُمّي المباشر للمبيدات التي ترافق الفعل الميكانيكي، مما يسبب تكوّن الجيوب اللثوية والعظمية، التي تحدث تعرّي سريع لجذور الأسنان، وحركة الأسنان المرافقة للالتهاب، وقد يتحول الالتهاب الحاد لمزمن، وتأثير المبيدات السُمّي هو مباشر على خلايا اللثة والأنسجة الداعمة للأسنان، الذي يغير من تركيبها ووظيفتها الطبيعية للحالة المرضية.

- (٢) يؤدي التهابات اللثة القاتية لتطاول الأسنان، وخروجها من أماكنها الطبيعية، نتيجة تأثير مضغ القات على الأربطة اللثوية، كما يؤدي لفقدان انتظام الأسنان في أماكنها، وتشوه شكل القوس السني.
- (٣) الفراغات بين الأسنان: يعاني تسعون في المائة من المخزنين فراغات بين الأسنان، هذه الفراغات تشكل مكاناً لتجمع الفضلات الغذائية، وتكون الويحة الجرثومية، التي تكون سبباً في حدوث نخر الأسنان، وتكون الجيوب اللثوية المرضية، كما أن هذه الفراغات مصدراً لصدور الروائح الفموية الكريهة.
- (٤) حركة الأسنان: تزيد حركة الأسنان في حالة تخزين القات عن حركتها نتيجة الأمراض الأخرى، ويرجع ذلك للأسباب التالية:
- أ. التهابات اللثة وانحسارها، وتطاول الأسنان لدى المخزنين.
- ب. الفراغات بين الأسنان الناتجة عن تخزين القات.
- ج. الاضطرابات الالتهابية الهرمونية والمناعية، الناتجة عن استخدام المبيدات مع القات.
- د. الخراجات اللثوية العظمية، الناتجة عن القات والمبيدات.

(٥) ظهور الآفات البيضاء، أو بقع بيضاء لدى المخزنين: وجد أن نسبة من المخزنين يعانون من حدوث طلاوة بيضاء بنسبة ستين بالمائة، بالمقارنة مع غير المخزنين، تزيد هذه النسبة في حالة التدخين وتناول المشروبات الكحولية واستخدام الشمة أو التبناك، والطلاوة التي نتحدث عنها، هي الطلاوة التي تحدث في منطقة تخزين القات أو مضغه، وهذا ما يميز طلاوة القات عن طلاوة التدخين والشمة والتبناك، وخطورة الطلاوة بأنها تعتبر الحالة ما قبل السرطانية، أو الحالة المؤهبة لحدوث سرطانات الفم.

(٦) تقرحات أنسجة الفم: هناك العديد من التقرحات الفموية، ويمكن تقسيمها حسب السبب للتالي:

أ- يرجع حدوث تقرحات أنسجة الفم والأسنان، للتأثير المباشر وغير المباشر للقات والمبيدات، فمضغ القات لساعات طويلة، يؤدي لإحداث تقرحات نتيجة الاحتكاك الميكانيكي، وخاصة في حالات القات القاسي، أما التأثير المباشر الآخر، هو فعل المبيدات السُمّية على أنسجة الفم المباشر، ويلاحظ تأثير العاملين السابقين سريعاً في اليوم الأول يكون التخزين، واليوم الثالث تلاحظ تقرحات شديدة الألم، تمنع المصاب من تناول

طعامه وشرابه، خاصة التأثير السريع، والإصابة الحادة للمبيدات.

أما الفعل غير المباشر الذي يؤدي لحدوث التقرحات، هو الاضطرابات الهرمونية، وتثبيط مناعة خلايا الأنسجة القموية، هذان العاملان يحدثان نتيجة الفعل السُمّي التراكمي للمبيدات، ونتيجة ذلك التقرحات القموية، ومما يميزها عن التقرحات القموية ذات التأثير المباشر، بطء ظهورها وأزمائها.

وفي حالة اجتماع جميع العوامل السابقة، فإن هذه التقرحات تصبح معددة على المعالجة، وتصبح أكثر خطورة، بإمكانية تحولها لتقرحات سرطانية.

ب- تقرحات قموية ذات مصدر جرثومي أو فطري أو فيروسي، وهذه التقرحات تحدث نتيجة تداول القات بين قاطفه وبائعه ومتناوله، والوسيلة التي يتم نقل القات بها، وكذلك تعرض القات لمخلفات الحيوانات أثناء زراعته، وتزيد شدة الإصابة، عندما لا يتم غسل القات قبل تناوله^(١).

* * *

(١) المصدر السابق، ص: ١٤ - ١٦.

■ الخراجات اللثوية:

وتحدث نتيجة دخول عيدان أو عود صغير من القات للثة والتهابها، وتكون الخراجات اللثوية، كما تنتج الخراجات عند دخول القات الجيوب اللثوية، وعدم إمكانية إخراجها، ويحدث أكثر من خراج في وقت واحد^(١).

* * *

■ التأثير السمي التراكمي على اللثة والأسنان، وتشوه الأجنة:

إن تناول القات المرشوش بالمبيدات يؤدي لحدوث التراكمات السمية، بل وحدوث حالات سمية تظهر علاماتها على اللثة والأسنان.

إن تغير لون اللثة، حيث تميل اللثة للون الأزرق المسود، كما يلاحظ تلون الأسنان باللون الأبيض الكامد المائل للرصاصي، نتيجة تناول الأمهات الحوامل للقات المحتوي على آثار المبيدات، أو نتيجة الرضاعة، كما أن المبيدات المستخدمة مع القات، والتي تتناولها الأمهات الحوامل، تؤدي لتشوه خلقي (شق الشفة وقبة الحنك)، وعند سؤال كثير من الأمهات عن تناول القات، وجد أن معظم الأجنة المصابة، كانت الأمهات تخزن القات، كما أن كثيراً من المخزنين

(١) المصدر السابق، ص ١٦.

والمخزنات للقات المرشوش بالمبيدات، يحدث تغيرات هرمونية، يظهر أثر ذلك في اضطرابات أنسجة اللثة، التي يؤدي لاستحالة اللثة وامتصاصها، وحركة الأسنان، وتزف اللثة وأورامها، الناتجة عن التغيرات الهرمونية^(١).

* * *

■ تشبيط مناعة الخلايا الفموية:

إن التراكم السُمّي للمبيدات المستخدمة مع القات، وخاصة التي مضى على رشها فترة قصيرة، تؤثر على أنسجة الفم بشكل مباشر وغير مباشر.

فالتأثير السُمّي المباشر، يؤدي لقتل خلايا أنسجة الفم وقوتها، وقد يؤدي للإخلال في تركيبها، وبالتالي الإخلال بوظائفها الحيوية، وحدوث الكثير من الأمراض الفموية.

أما التأثير غير المباشر، يكمن بانتقال التأثير السُمّي للقات بالامتصاص بالطريق العام، الذي يؤدي لتشبيط مناعة خلايا أنسجة الجسم، ومنها خلايا أنسجة الفم، أضف لذلك، حدوث الاختلال أو الاضطرابات الهرمونية.

(١) المصدر السابق، ص: ١٦، ١٧.

إذن، فأنسجة الفم تتعرض للتأثير الميكانيكي لمضغ القات، وتأثير سُمي للمبيدات مباشرة، وتأثير غير مباشر يحدث اضطرابات هرمونية، وتثبيط مناعة أنسجة الفم. إن التأثير المباشر أو غير المباشر للقات، يحدث كثيراً من الأمراض الفموية، كسرطانات الفم، والاستحالة اللثوية، وخلخلة الأنسجة الداعمة للأسنان، وحركة الأسنان وقلعها^(١).

* * *

■ تقرن خلايا أنسجة الفم، وضخامة الغشاء البشري المخاطي:

إن الفعل الميكانيكي لاستخدام القات، يؤدي لاحتكاك القات بأنسجة الفم، وبالذات المنطقة التي يتم فيها تخزين القات، ويحدث التَّقَرُّن كردة فعل لهذه الأنسجة، أو تكوّن النسيج الكراتيني، ويعطي صلابة ومقاومة لدى بعض المخزنين، نتيجة ردة الفعل الدفاعي لهذه الأنسجة للقات، وخاصة اللثة، كما يؤدي هذا الاحتكاك لضخامة الأنسجة البشرية المخاطية، نتيجة ضخامة خلاياها، وتتضخم هذه الأنسجة كردة فعل للتأثير الاحتكاكي الميكانيكي لمضغ القات^(٢).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٧، ١٨.

■ سرطانات الفم:

وجد ارتفاع نسبة حالات سرطانات الفم في اليمن، مقارنة بالإصابات في دول الجوار، ويرجع لاستخدام القات المرشوش بالمبيدات الحشرية، مما يؤكد ذلك ظهور حالات سرطانية في مكان مضغ أو تخزين القات، تزيد حالات الإصابة بتعاطي التدخين والمشروبات الكحولية المستخدمة مع طقوس تعاطي القات، أو تناول المزوج للقات وتعاطي الشمة والبردقان، أو تخزين التمبل. ويرجع تأثير القات المسرطن للتالي:

- (١) الفعل التخريشي الناتج عن المضغ الميكانيكي للقات، والذي يؤدي للتخريش الدائم لأنسجة منطقة التخزين، ومن المعلوم أن التخريش يعتبر أحد العوامل القوية المحدثة للسرطانات.
- (٢) تأثير المبيدات الحشرية في إحداث اضطرابات هرمونية، وتثبيط مناعة أنسجة الفم، هذان العاملان مؤهّبان لحدوث السرطانات، وبالذات سرطانات الفم، نتيجة التأثير المباشر وغير المباشر للمبيدات على أنسجة الفم^(١).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١٨.

■ جفاف الفم:

من المعلوم أن الغدد اللعابية الرئيسية الكافية، وتحت الفك، وتحت اللسان، والغدد اللعابية الثانوية، وهي الغدد المنتشرة في أنسجة الفم المختلفة، جميعها تقوم بإفراز السائل اللعابي، أما تأثير القات على الغدد اللعابية، يرجع إلى العوامل التالية.

١. التأثير المباشر للمبيدات على خلايا الغدد اللعابية المنتشرة في أنسجة الفم، تفقد الخلايا حيويتها، وتحدث قصوراً بعملها (إفراز السائل اللعابي).

٢. الاضطرابات الهرمونية للغدد الصماء، التي تشرف على تكوين وتنظيم إفراز الغدد اللعابية للعب.

٣. تثبيط أو إضعاف مناعة خلايا أنسجة الغدد اللعابية، والتي تترافق مع التأثير غير المباشر لسُمِّية المبيدات على الغدد اللعابية، وهذان العاملان يؤديان لقصور عمل خلايا الغدد اللعابية المفروزة للعب.

٤. تأثير المواد السمبوتوية، مثل النوريفدرين في القات على الغدد اللعابية.

٥. نوبات العرق التي تنتاب المتعاطي للقات، وفقدان السوائل والأملاح (أثناء فترة التخزين)^(١).

* * *

■ القات وعضلات المضغ:

إن تناول القات بشكل دائم، يؤدي لوهن عضلات المضغ، وعدم قدرتها على مضغ الطعام، وخاصة الأطعمة القاسية، كما يؤدي لحركة المضغ غير الطبيعية. فالمريض يقوم بحركة الفك أثناء التخزين، وكأنه يقوم بمضغ الطعام، ويؤدي تناول القات لدى البعض لضخامة العضلات الماضغة في جهة أو جهتين، نتيجة الجهد الكبير التي تتحمله العضلات، وضخامة الخلايا العضلية للتكيف مع الجهد الكبير، وفي بعض المرض يحدث ورم عضلي مزمن، وغالباً ما يكون في جهة واحدة، ووجد عند كثير من مرضى العضلات الماضغة، انتهاء حالة وهن العضلات بعد إيقاف تخزين القات، كما يؤدي التخزين الدائم في جهة واحدة أو جهتين، لحدوث تمدد في عضلات الخد، وحدوث تجاعيد وتقرع في الجلد، ويلاحظ بشكل واضح لدى المخزنين بشكل دائم، مما يغير من شكل الوجه الجمالي^(٢).

(١) المصدر السابق، ص: ١٨، ١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩.

■ تأثير القات على المفصل الفكي الصدغي:

- وجد بعد تشخيص كثير من أمراض المفصل الفكي الصدغي السريري والشعاعي، حدوث تغير في شكله ووظيفته، ويؤدي إلى:
- (١) وهن عضلات المفصل الفكي الصدغي (الماضعة)، مما يؤدي لضعف في أدائها أو وظيفتها.
 - (٢) تغير في شكل أربطة المفصل، وبالتالي تغير في تحديد وانتظام عمل المفصل، مؤدياً لعدم انتظام حركة الفك السفلي.
 - (٣) تغير في شكل اللقمة المفصليّة التشريحي.
 - (٤) ضخامة الغشاء البشري المخاطي المفرز للسائل الزلق في المفصل، نتيجة الإصابة بالالتهابات، ووجد أن نسبة ٧٥٪ من الإصابات كانت لدى المخزّنين، ومن أعراض إصابة المفصل:
- ١- آلام المفصل الفكي الصدغي الشديدة.
 - ٢- خروج المفصل الفكي الصدغي من مكانه، وعدم إمكانية إغلاقه.
 - ٣- حركة الفك الدائمة، وعدم قدرة المصاب على التحكم فيها.
 - ٤- حدوث فرقة أو أصواتاً في أحد المفاصل أو كليهما.
 - ٥- حدوث وشيش أو طنين في الأذن.

وبعد الكشف السريري عن أسباب إصابة المفصل الفكي، وجد أن مضغ القات ولفترة طويلة في جهة أو جهتين، يؤدي إلى:

١. إنسحال الأسنان في جهة واحدة، وبالتالي حدوث عدم توازن بين الجهتين المتناظرتين، مما يؤدي للإخلال في توازن المفصل الفكي الصدغي، وحدث الإصابة بإحدى المفصلين.
٢. إنسحال عام وشامل للأسنان، مما يؤدي لنقص البعد العمودي، محدثاً الإصابة في المفصلين.
٣. حدوث الإصابة نتيجة الإجهاد على المفصلين، لطول فترة عملهما، وتأثير المواد السمبوتوية في القات، يحدث حالة الإصابة الموقته للمفصل^(١).

* * *

■ حركة اللسان الإرادية:

وجد أن معظم الذين يعانون من حركة اللسان الإرادية ممن يتعاطون القات بشكل دائم، معظم حالات حركة اللسان الإرادية تنتهي بتوقف تعاطي القات، وترجع حركة اللسان لتأثير المواد

(١) المصدر السابق، ص: ١٩، ٢٠.

السميتاوية الموجودة في القات، ولحركة اللسان الدائمة أثناء مضغ القات^(١).

* * *

■ تأثير القات والعادات الفموية الأخرى:

(١) القات والتدخين: وجد في كثير من الإحصائيات، أن معظم المخزنين يتعاطون التدخين، لذلك فإن أنسجة الفم تتعرض للتأثير الضار المزدوج من القات والتدخين، وفي هذه الحالة تزيد نسبة الإصابة بالأمراض الفموية، كالطلاوة، والتقرُّن، والتقرُّحات الفموية السرطانية.

(٢) القات والمشروبات الكحولية: وجد أن نسبة من المخزنين يتناولون المشروبات الكحولية، ووجد في هذه الحالات زيادة نسبة إصابة أنسجة الفم بأمراض: الطلاوة، والتقرُّحات الفموية السرطانية.

(٣) القات والشِّمة (البرتقال): هناك نسبة كبيرة من المخزنين يتناولون القات والشِّمة، ووجد لديهم تقرحات فموية سرطانية، وسحل الأسنان.

(١) المصدر السابق، ص: ٢٠، ٢١.

(٤) القات وتخزين التُّمْبُل: هناك نسبة من متناولي القات يخزنون التُّمْبُل، ووجد أن نسبة ظهور الطلاوة، والتَّقْرُحات السرطانية مرتفعة لديهم، وكذلك سحل الأسنان.

(٥) هناك نسبة من المرضى يتناولون القات والتدخين والمشروبات الكحولية مع بعض، وتزيد نسبة الإصابة بالطلاوة، والتَّقْرُحات السرطانية، أكثر من غيرهم في الحالات المذكورة سابقاً^(١).

* * *

■ تأثير القات على الأسنان:

وجد لدى مخزني القات سحل في الأسنان، جانبي أو شامل، نتيجة التخزين الدائم، مما يفقد الأسنان شكلها التشريحي، ويؤدي لتغير تقاطيع الوجه، كتضخم عضلات الوجه في إحدى الجهتين، أو تصبح إحدى الجهتين أطول من الأخرى، كما يلاحظ نقص البعد العمودي، وظهور تجاعيد في الوجه، جانبية أو ثنائية الوجه، كما لوحظ وهن في عمل عضلات المضغ، وحدوث صوت في المفصل عند الفتح والغلق، وتزيد حالات السحل عندما يرافق تعاطي القات الشِّمَّة أو التُّمْبُل^(٢).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ٢١.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢١، ٢٢.

ب- أثار القات على الجهاز الهضمي:

يشيع في اليمن اضطرابات المعدة والأمعاء، وفي السنوات الأخيرة، تزايدت بشدة قرحة المعدة، خاصة المعى الاثنا عشر، وتعدد العوامل المسببة لها. ويعزي العديد من الأطباء المعالجين، زيادة هذه العلل إلى انتشار القات؛ حيث يعاني ماضغو القات من الإمساك المزمن، ويجر هذا بلا شك إلى الآثار القابضة للأمينات، والآثار الشبه سيمبثاوية للأمينات الفيناييل الكيل، كما أن القات مسبب رئيسي في عملية عسر الهضم، وفقدان الشهية، مما يؤدي إلى مرض البواسير وسوء التغذية، ولعل هذا ما يفسر الهزال وضعف البنية لدى غالبية المتعاطين. ويمكن حصر تأثيرات القات على الجهاز الهضمي بالآتي:

أ. الفم (سبق الحديث عنه باستفاضة في البند السابق).

ب. المعدة والإثنى عشر: يؤدي بشكل مباشر وغير مباشر لالتهابات وقرحة الإثنى عشر والمعدة، وتلعب التانينات الدور الرئيسي المباشر.

ج. الإمساك يؤدي استخدام القات لحدوث حالة الإمساك المزمن لدى متعاطي القات، ويعزي الإمساك للعوامل التالية:

١. الآثار القابضة، كمركبات التانينات.

٢. تأثير المواد السمبثاوية في تعاطي القات (التخزين) على الجهاز الهضمي، حيث تقلل من حركة الأمعاء.

٣. الجلوس لفترة طويلة أثناء تعاطي القات.

د. الاضطرابات الهضمية: يعاني متعاطو القات من حالات الانتفاخ بالغازات والنزلات الأميية والدستاريا.

هـ. البواسير: يعاني معظم متعاطي القات من الإصابة بالبواسير، نتيجة حالات الإمساك المزمن، والזحار القائي، والجلوس لفترة طويلة أثناء تناول القات.

و. سوء التغذية:

١. نتيجة فقد شهية متعاطي القات.

٢. صرف مبالغ على التخزين لدى محدودي الدخل على حساب التغذية.

٣. جهل متعاطي القات بقواعد التغذية الصحية.

ز. فقدان الشهية ونقص الوزن: يؤدي استخدام القات لفقدان الشهية ونقص الوزن، نتيجة تأثير مادة الكاثينون والمواد السميتاوية على مراكز الجوع في الدماغ، وشرب كمية كبيرة من الماء^(١).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١٠.

ج- القات وأمراض الكبد:

تزايدت أمراض الكبد في السنوات القليلة الماضية بصورة مزعجة؛ ويرجع ذلك لأكثر من عامل، مع استبعاد الكحول كسبب رئيسي؛ حيث إن الغالبية العظمى لمرضى الكبد مسلمون ملتزمون لا يستعملونه. ويشير كثير من الأطباء، إلى أن مضغ القات أحد العوامل المسببة لذلك.

ويذكر الدكتور إسماعيل النجار: "أن القات يحتوي على المواد السُّمِّية للمبيدات، وهذان العاملان يؤديان للإصابة بأمراض الكبد المختلفة"^(١).

* * *

د- تأثيرات القات على القلب والجهاز الدوري:

تلاحظ تأثيرات مختلفة على الجهاز الدوري خلال مضغ القات وبعده، ولقد أكتشف من خلال العديد من البحوث التأثيرات الحادة التالية في كل الحالات، إضافة إلى المواد الكيميائية في نبتة القات، والتي تؤدي إلى زيادة ضربات القلب، وتضييق في الأوعية الدموية، مما يرفع ضغط الدم، ويجعل من الصعب على علاجات ضغط الدم أن

(١) المصدر السابق، ص ١٢.

تعمل على تخفيض الضغط، بالإضافة إلى أن هذه المواد تجعل الشخص أكثر عرضة للإصابة بضغط الدم، وبالسكتة الدماغية، والجلطة القلبية، والذبحة الصدرية. وعلى الرغم أن هذه التأثيرات عكسية في الأصحاء، فقد تصير خطيرة لمن يدمنون استعمال القات، ومهلكة للمرضى ذوي الخلل في الجهاز الدوري.

ويذكر الدكتور النجار، إن المواد السمبوتوية المكونة للقات من الكاثيون والكاثين والنورافدرين، التي تحرر الكثير من المواد، التي تؤدي لانقباض الشرايين، وتسارع ضربات القلب، وزيادة مؤقتة في ضغط الدم^(١).

* * *

هـ - القات وأمراض الرئة:

نتيجة احتواء القات على المواد السمبوتوية، كـ(الكاثون والكاثين والنورافدرين)، وكذا ارتفاع درجة الحرارة والتدخين، يؤدي لتنشيط الجهاز التنفسي، وتوسع الشعب الهوائية، وزيادة عدد مرات التنفس، وحدوث حالات التحسس، كالربو والتهابات الرئة المزمنة^(٢).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢.

و- أثره على الجهاز البولي والتناسلي:

القات سبب رئيسي في صعوبة التبول والإفرازات المنوية غير الإرادية، بعد التبول وفي أثناء المضغ؛ وذلك لتأثير القات على البروستات والحوصلة المنوية، وما يحدثه من احتقان وتقلص، فيساعد على تضخم البروستات، ويؤدي ذلك كله إلى الضعف الجنسي، وفي كثير من الحالات إلى سرطان البروستات. "وتعود هذه لآثار السمبتاوية للقتامينات على جدار المثانة، والعضلات التي تتحكم في خروج البول، وتزيد هذه الحالات، كلما كانت الفترة بين قطف القات وتناوله قريبة"^(١).

* * *

ز- التأثير الجنسي:

الرأي الغالب أن القات يضعف الحالة الجنسية لدى الذكور بنسب متفاوتة، أما الإناث، فإنه يزيد لديهن الرغبة الجنسية، وتحسين الأداء^(٢).

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

ح- تأثيره العصبي والنفسي:

يحدث القات تأثيره المنبه على الجهاز العصبي، بواسطة مركبات الكاثاميناز، ومن أهمها: (الكاثينون، والكاثين)، ويعتبر الكاثينون المادة المسؤولة عن تنشيط وتنبيه الجهاز العصبي. وأما الكاثين دوره أقل من الكاثينون (محدوداً على الجهاز العصبي)^(١).

ومما لا شك فيه، أن متعاطي القات يمتاز بحدة الطبع والعصبية بعد انقضاء فترة النشاط الكاذب، كما يميل للكسل الذهني بعد ساعات من التعاطي، ثم سرعان ما يبدأ شعور بالقلق المصحوب بالاكئاب والنوم المتقطع.

وقد "وجد أن تناول القات لدى بعض الأشخاص الذين لديهم استعداد وراثي الحدوث الأمراض النفسية، وظهور حالات التخيالات - مشاعر الهوس -، والإحساس بالعظمة، وأعراض إكتآبية، أو أوهام اضطهادية. ووجد لدى البعض تصرفات عدوانية متزايدة، كما وجد أن الأمراض النفسية المعقدة على المعالجة نتيجة تناول القات، كما أن القات يسبب انتكاس حالات كثير من المرضى النفسيين، وعودتهم لحالة المرض، وبشكل حاد، ومما يزيد في تفاقم هذه الحالات مشاكل

(١) المصدر السابق، ص: ٩، ١٠.

وضغوط الحياة، وسوء التغذية، نتيجة تأثيرات القات الذهبية المنشطة، وما يتركه القات من أثر بعد استخدامه"^(١).

* * *

ط- القات والسرطان:

لاحظ الأطباء ارتباطاً كبيراً بين ازدياد حالات السرطانات الحبيثة، وبين إدمان القات، وبالذات في السنوات الأخيرة، خاصة مع انتشار عمليات استخدام مواد كيميائية محرمة، وغير مسموح بها عالمياً، ترش على شجرة القات أثناء زراعته لتؤدي محصولاً أوفرًا.

* * *

ي- القات والسكري:

ثبت علمياً أن إدمان القات يؤدي إلى زيادة نسبة السكر في الدم، مما يجعل متعاطية أكثر عرضة للإصابة بمرض السكري، كما أن المصاب بالسكري، لا يستفيد كثيراً من علاج الأنسولين، إذا كان من متعاطي القات.

ويذكر الدكتور النجار: أنه يلاحظ هبوط نسبة السكر لدى بعض المتناولين للقات، لما يسببه من فقدان الشهية، وهذا ليس بديلاً

(١) المصدر السابق، ص: ١٢، ١٣.

لأدوية السكر كما يعتقد البعض، بل يدخل فقط ضمن الحمية الغذائية^(١).

* * *

ك-الأرق:

"من أشهر الخصائص المعروفة عن القات، أنه يسبب الأرق، ويلجأ مدمنو المضغ غالباً إلى المستشفيات، يشكون من الأرق، ويطلبون العقاقير المهدئة للأعصاب والمنومة، ومن الواضح أن هذه لا تفعل شيئاً، بل تسيء من حالتهم"^(٢).

* * *

ل- الأمراض المعدية:

يناسب أسلوب استعمال القات الذي يتطلب العديد من الأفراد يتجاذبون الحديث في آثاره، وهم جلوساً جنباً إلى جنب لساعات طويلة في مكان مغلق، انتقال بعض الأمراض المعدية، ومما هو جدير بالملاحظة، أن في البلاد التي يستعملون فيها القات، يكون انتشار الأمراض المعدية، خاصة أمراض الصدر، عالياً جداً، وبعد استهلاك

(١) المصدر السابق، ص ١١.

(٢) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

القات، يرغب العديد من الرجال والنساء صحة الجنس الآخر، وهذا بكل تأكيد يزيد من التعرض للأمراض الجنسية المعدية.

كما أن مرض السل (التدرن) ينتشر بين متعاطي القات نتيجة العوامل التالية:

(١) بصاق القات من قبل المصابين.

(٢) تعاطي القات في غرف مزدحمة وسيئة التهوية.

(٣) تبادل استخدام المداعة أو الأرجيلة من شخص لآخر^(١).

كما تنتقل العدوى البكتيرية والطفيلية لدى مخزني القات الملوث بمخلفات الحيوانات والإنسان، نتيجة تداوله بين القاطنين والبائعين والمتعاطين^(٢).

* * *

م- سوء التغذية:

من المعروف عن القات، أنه يقلل بشدة شهية من يستعمله، ويميل المدمنون لأخذ وجبات خفيفة، أو عدم تناول الطعام لفترات

(١) النجار، أسماعيل محمد، ظاهرة القات والصحة العامة والقموية، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

طويلة، وقد سجلت بالمستشفيات حالات عن سوء التغذية الشديدة عقب إدمان مضغ القات^(١).

* * *

ن- الحوادث:

يستعمل السائقون، خاصة قائدي شاحنات المسافات الطويلة، القات بوفرة، وعندما يكون شخص ما تحت التأثير المنبه للقات، تكون الأفعال المنعدمة حسنة، ويتناقص زمن رد الفعل، ومع ذلك، قد تزداد ثقته بنفسه، ويحاول أحياناً القيام بمناورات خطيرة أثناء القيادة، مثل هذا المسلك يؤدي إلى العديد من الحوادث^(٢).

* * *

س- التأثيرات النفسية:

ينتج القات العديد من التأثيرات النفسية، فيشعر الفرد نهار يوم تالي لليل من مضغ القات، بإحساس من التوعك، وغالباً ما يعاني من الصداع النصفي، كما يشاهد أيضاً القلق والإحباط الرجعي. ويبيد المستهلكون المعتادون الاتكال النفسي، وقد قبلت في المصحات

(١) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

(٢) نفس المصدر.

العقلية حالات عديدة من الاضطراب العقلي الحاد الناتج عن التسمم، ويظهر هذا الأثر بمدني مضغ القات، الذين يعانون في الغالب من سوء التغذية، كما سجلت بمصحة الأمراض العصبية والعقلية في اليمن، ودول القرن الأفريقي، حالات لمرضى بالهلوسة والاهتياج والسلوك العدواني، (عندما يكونوا تحت تأثير العقار)، يتبعه أعراض الارتداد الكئيب^(١).

* * *

ع- نظام التناسل:

أوضحت إحصائيات عن الأوبئة، ضعفاً في الأداء الجنسي عقب استهلاك القات في أكثر من (٦٠٪) من تعداد الذكور، وقد سجل الغالبية العظمى انطلاق الحيوانات المنوية دون جماع، والقذف المبكر. ويرى الماضغون أن حدوث ودرجة مثل هذه التأثيرات تتباين تبعاً لصنف القات. وبالرغم أن التأثيرات المذكورة عكسية، فقد تنحرف في مدمني القات إلى عجز جنسي^(٢).

* * *

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

ف- تأثيرات أخرى:

من التأثيرات الأخرى الحادة التي يتم ملاحظتها خلال البحث، ارتفاع درجة حرارة الجسم، وتصيب العرق، وزيادة سرعة التنفس. وفيما يتعلق بالعلاقة بين القات ومستوى الجلوكوز، فقد أظهرت دراسة حديثة أجريت، أن القات يؤثر على مستوى جلوكوز الدم في الإنسان.

كما أن القات يسبب آثاراً مرضية أخرى، ومختلفة على الصحة، فتعاني أعضاء عديدة من الجسم نتيجة مضغ القات، كما أنه يسبب الاتكال النفسي. ووجد في بعض الدراسات، تأثيرات خطيرة على الذهن، وأعراض هبوط، ومن جهة أخرى، لم تسجل حالة واحدة مؤكدة تشير إلى فائدة للقات، ويبدو أن بعض تأثيرات القات، تتباين كماً ونوعاً، باختلاف صنف وموطن العقار^(١).



(١) نفس المصدر السابق.

• تأثير المبيدات المستخدمة في زراعة

القات على البيئة وصحة الإنسان:

من المعلوم أن كثيراً من المبيدات الزراعية، بمختلف أنواعها وأضرارها البيئية والصحية، تستخدم في رش القات، وتلعب دوراً مضرّاً للبيئة وصحة الإنسان.

وعلى صعيد البيئة، تحدث المبيدات بمختلف أنواعها، تلوثاً بيئياً، يؤدي للقضاء على أنواع من الكائنات البرية، والقضاء على أنواع معينة من النبات، مما يخل بالتوازن البيئي، ويؤدي لظهور سلالات من الآفات المقاومة لمختلف أنواع المبيدات. كما أن المياه الجوفية والجارية تتلوث، وتصبح في حالة سُمية.

أما على الصعيد الصحي، فقد ثبت أن مجاورة المبيدات للمواد الغذائية، أدى إلى حالات تسممية أدت للوفاة، كما حدث في سيرلانكا وبريطانيا والإسكندرية^(١).

إن تراكم المبيدات في المياه الجوفية وقاع الأنهار، يؤدي لتراكم المبيدات في جسم الإنسان، وما تركه من أثر على أجهزة الجسم المختلفة من تسمم مزمن، وانتقال السُميّة للأجنة عبر المشيمة، كما

(١) النجار، أسماعيل محمد، ظاهرة القات والصحة العامة والقموية، ص ٨.

أن المبيدات تؤدي للإخلال بالتوازن الهرموني للإنسان والكائنات البرية، كما في تأثير المبيدات على هرمون الأستروجين عند الذكور، وحدوث التشوه في تركيب الحيوانات المنوية، وحدوث سرطانات البروستات.

كما تؤدي حالة التسمم للمبيدات، لحدوث تثبيط في المناعة لدى الإنسان، وتأهيله وتأهيله للإصابة بأمراض ضعف المناعة، حدوث السرطانات، وتؤدي المبيدات للإخلال بالتركيب المتوازن (Rna Dna)، وحدوث تشوه في الأجنة.

تحدث سُمية المبيدات سرطانات الفم والكبد والدم، وتكمن خطورة سمية القات، باستخدام المبيدات بشكل دائم، وتناول القات يومياً ولأطول فترة، واستخدام المبيدات التي تم حظرها دولياً لسُميتها الخطيرة، واستخدام المبيدات بشكل عشوائي، دون مراعاة الطرق الصحيحة للرش، وعدم تقييد زارعي القات بالفترة المطلوبة بين رش القات وقطفه، وعدم وجود عملية وسيطة بين قطف نبات القات وتناوله كالمغلي مثلاً، فالقات يذهب لفم المستهلك مباشرة^(١).

* * *

(١) نفس المصدر، ص: ٨، ٩.

فقد أصبحنا في زمن اللامبالاة من قبل الكثير من الناس، ووجود الجهل من قبل مزارعي القات، أقصد أن مزارع القات يقوم برشه بالمبيدات الضارة لمكافحة الحشرات، وكذلك رش القات ببعض المواد الكيماوية، التي تساعد على نمو أغصان القات بسرعة، لكي يقوم صاحب مزرعة القات ببيعه في السوق، وتوفير الأموال والأرباح، وعندما يقوم العمال بقطف شجرة القات، والمواد الضارة ما زالت آثارها على أوراق القات، وإنزالها في السوق، دون مراعاة لحياة المواطن، ولم يعط المدة الكافية لإزالة المواد الكيماوية الضارة، فيشتري المواطن القات، ويبدأ بالتخزين، وهكذا يوماً بعد يوم، مما يؤدي إلى تراكم السموم في جسمه، وبعد ذلك تتكون الخلايا السرطانية التي يصاب بها الكثير من الناس، مما يكلفهم الآلاف مقابل العلاجات التي تطول، ثم بعد ذلك الموت الحقيق، ولا يشفى إلا القليل منهم.

لقد عرفنا الخطر الحقيقي لتعاطي القات، فقد أكد الأطباء بخطر المواد الكيماوية (مبيدات حشرية - مربي أغصان) على صحة الإنسان، والتحذير من زيادة كميات المبيد، ووضعه بدون معرفة نسبة الجرعات لكل لتر ماء، وبهذا يؤثر على جسم الإنسان؛ لسوء الاستخدام الصحيح، فلذا وجب على كل عاقل، أن يحذر تعاطي القات بالصورة المذكورة سابقاً، للمخاطر على حياة الشخص. وننصح بعدم تعاطي القات الذي توجد فيه فقعات تدل على استخدام المبيد.

ويجب على المزارعين لشجرة القات الحبيشة أن يتقوا الله، وأن يرحموا الناس، بعدم وضع السموم بشدة كثيرة بقصد الأرباح، فهذه مسؤولية يتحملها المزارع ثم المواطن.

وكذلك يجب الإشارة إلى أنه يتم تهريب بعض المبيدات المحرمة دولياً، إلا أن ضعاف النفوس وتجار الموت، يقومون بتهريب هذه المواد السامة، بعيداً عن أنظار الناس والدولة، وبيعها في السوق.



• كارثة القات على البلدان التي تزرعه والمستهلكة له:

هناك إحصائية شبه رسمية، تؤكد على أن اليمنيين ينفقون على القات يومياً عشرات الملايين من الريالات، وأن ما ينفقه المواطن عليه، يعادل نصف دخله، على أقل تقدير، وهذا ما دفع مثقفاً يمينياً مثل الدكتور عبد العزيز المقالح، لأن يقول في مقابلة صحفية معه: "القات في نظري، مأساة عربية دون حل، إن الفرد اليمني يصرف أكثر من (٥٠٪) من دخله على القات، وقد يسرق، وقد يرتشي لسد احتياجاته منه، كما أن زارعي القات، هم أصحاب (النفط الأخضر) في بلادنا، وثروتهم مخزنة في الحقباء، تجدون ديارهم في الريف مجهزة بأحدث الوسائل، بخلاف ديارهم في صنعاء، وفي الواقع هم لا يستثمرون هذه الأموال"^(١).

ويروي الدكتور أحمد نبيل أبو خطوة في مقابلة له عن القات: "أن تجارة القات في اليمن، تضم أكثر من (٦٠٠٠) تاجر، يدفعون للحكومة يومياً، ما لا يقل عن مليون ريال يمني، قيمة الضرائب المفروضة على القات، وهي ١٠٪، وأن هذا خلاف ما يباع في الأرياف والمناطق النائية، التي لا تصل إليها أيدي رجال الضرائب، وهذا يعني، ما يدفع للضرائب يبلغ (٧٢٠) مليوناً سنوياً. وإذا كان

(١) مجلة سيدتي، العدد: (٤٧)، عام ١٩٨٢م.

هذا يمثل عشرة في المائة مما يدفعه المواطنون ثمناً للقات، فهذا يعني أن المواطنين هناك ينفقون سنوياً أكثر من ثمانية آلاف مليون ريال، إذا حسبنا ما يدفع بعيداً عن الضرائب، هذا بالطبع في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، فكيف هو الحال في وقتنا الحاضر، فالنتيجة أكبر من ذلك بكثير؛ حيث تشير بعض الإحصائيات إلى عدد بائعي القات في الوقت الحاضر في الجمهورية اليمنية، لا يقل عن (٧٠) ألف بائع^(١).

وفي بلد صغير مثل جيبوتي، نشرت دراسة قام بها بعض الأطباء الفرنسيين، أن الأهالي يشترون (٨٠,٠٠٠) ثمانين ألف حزمة قات شهرياً، ومتوسط سعر الحزمة (١٨٠) مائة وثمانون فرنك جيبوتي، أي (١٤,٤٠٠,٠٠٠) أربعة عشر مليوناً وأربعمائة ألف فرنك شهرياً، ولو أمكن استبدال القات بطعام، لأمكن تغذية ثمانية آلاف مواطن طوال الشهر.

وفي أثيوبيا حيث يزرع القات، يعتبر القات خامس الصادرات في عام ١٩٦٧م. أما الآن فقد تكون النسبة أكثر؛ لأن صادراتها لجيبوتي مثلاً في عام ١٩٧٢م (١١٠) طن، بينما نشرت إحصائيات أخيرة، بأنه يتم تصدير كمية ما بين (٥,٣) إلى (٦,٣) طن يومياً، وهذا على

(١) مجلة سيدتي، العدد: (٤٨)، عام ١٩٨٢م.

حساب جيب المواطن في جيبوتي، وعلى حساب الأرض الزراعية في أثيوبيا.

وفي إحصائية مطولة عن جيبوتي، يتضح أن (١٠٪) من الميزانية الحكومية متحصلة من ضرائب القات، وأن ثلث المرتبات والأجور هناك تصرف على شراء القات.

وبالنسبة للمملكة العربية السعودية، فعلى الرغم من انحصار استعمال القات في منطقة واحدة، فالثمن الذي يدفع له، يستنزف الجزء الأكبر من دخل المواطن؛ لأنه يحصل عليه في السوق السوداء، تحت طائلة النظام الشديد العقوبة. ولا أستطيع أن أضع أرقاماً لحجم المبالغ التي تدفع، ولكنني على ثقة بأن مئات الملايين يهدرها المواطن على هذه (الآفة)، ربما تكون على حساب طعام ولبس وسكن عائلته.

هذه الأرقام هي التي دفعت بقوة الكثير من المنظمات الدولية والإقليمية لطرح القات كمشكلة اجتماعية واقتصادية، والبحث عن احتمالات أخطاره الصحية؛ حيث أثبتت على مستوى دولي في عصبة الأمم عام ١٩٣٥م؛ إذ ناقشت اللجنة الاستشارية لشؤون تهريب المخدرات، موضوعين فنيين لهما صلة بالقات. ولم تتخذ في ذلك الاجتماع قرارات أو توصيات بشأن التدخل الدولي لمنع ورعاية تداول القات، إلا أن بعض الدول كانت تدرك آثاره الضارة، فمنعت زراعته

وبيعه واستعماله في الصومال الفرنسي عام ١٩٢١م؛ إذ منع بيعه إلا بإذن خاص، ولمستهلكين يتم تسجيل أسمائهم من قبل السلطات الرسمية.

وفي كينيا تم حظر زراعته في المناطق الشمالية، وحظر استعماله خاصة بين الشباب، وفي عام ١٩٥٦م، عرض الموضوع على لجنة المخدرات التابعة للأمم المتحدة (الجلسة الحادية عشرة)؛ حيث لفت مندوب مصر انتباه اللجنة بخطورة المشكلة. وفي الجلسة الثانية عشرة، تسلمت اللجنة بحثاً من فرنسا، تعرض للجوانب الطبية والاجتماعية والاقتصادية للقات في جيبوتي؛ حيث منع في ذلك الوقت استيراده من أثيوبيا. ولكن تم إلغاء ذلك القانون، واستبدل بنظام رقابة أسعار، وتسجيل وترخيص استيراده وتخزينه. كما وضعت ضريبة استيراد على القات في الصومال الإنجليزي (في ذلك الحين).

ولقد طرحت لجنة المخدرات آنذاك التساؤلات الآتية:

أ - هل تخزين القات واستعماله له آثار ضارة؟

ب - إذا كان الأمر كذلك، ما هي أبعاد هذه الآثار الضارة؟

وهل تستوجب عملاً على المستوى الدولي؟

ج - وإذا كانت مكافحة القات تستدعي عملاً دولياً، فما هي الإجراءات التي يجب اتخاذها؟ وما يكون فيها من مرونة تساعد على تطبيقها، مع دراسة تأثيراتها على اقتصاديات تلك الدول؟!

وتم استخلاص ثلاث وجهات نظر في مناقشات اللجنة الطبية الاجتماعية، وهي:

- اعتبر بعض الممثلين أن المشكلة الاجتماعية الطبية للقات خطيرة، وأن القات (مخدر)، مثله مثل المخدرات الأخرى.
- بعض الوفود رأت أن القات أخف ضرراً من المخدرات الأخرى، ولكن يجب اتخاذ موقف دولي للحد من استعماله، نسبة لأضراره من النواحي الاجتماعية والاقتصادية.
- وفريق ثالث ادعى بأن القات غير مرغوب فيه، ولكن ليس هناك خطورة من استعماله تستوجب اتخاذ موقف دولي إزاءه.

وهكذا لم يتخذ قرار من قبل اللجنة، وطلب من المجلس الاقتصادي الاجتماعي للأمم المتحدة دراسة القات من الناحية الطبية. كما وجه نداءً إلى الدول المعنية بمشكلة القات، تقديم كل ما

يتوفر لديها من معلومات ودراسات وبحوث، تتعلق بزراعة وإنتاج واستهلاك القات في أراضيها.

ثم ظل هذا الموضوع يعرض في كثير من المؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية، دون اتخاذ موقف واضح، وفي اعتقادي أن ذلك يرجع لسببين هامين:

- أولهما: أن الموضوع لا يثير حماساً متميزاً لدى المسؤولين في منظمات الأمم المتحدة، باعتباره لا يشكل قضية تعاني منها الدول الغربية بالذات، كالحشيش والأفيون.
- والسبب الثاني: أن الدول التي توجد فيها شجرة القات، ويستعمل بين مواطنيها، هي الأخرى واقعة تحت ضغط عدم الحماس لاتخاذ قرارات حاسمة ضده، لاعتبارات مختلفة، فهي إما دول مستفيدة من تصدير القات، أو دول أغلبية سكانها (يعشقون) هذه المادة، فليس هناك من يهتم بمتابعة هذا الموضوع، ومع الأسف، فهناك من ينظر لقرار البت في الموضوع على أنه قرار سياسي.

وعلى الرغم من أن الندوات والمؤتمرات الدولية التي تحدثت عن القات، لم تتخذ قرارات ملزمة، وإنما توصيات، فقد اتخذت بعض

الحكومات مبادرات وإجراءات لمنع زراعة القات في أراضيها، وتقليل انتشاره بين مواطنيها، عن طريق فرض الضرائب، كما حصل في الصومال عام ١٩٥٦م، وكما عملت بريطانيا في مستعمراتها آنذاك في عدن وكينيا والصومال الإنجليزي. أما في تنجانيقا، فقد أوصت هيئة الصيدليات والسموم بوضع القات تحت الرقابة.

وفي جمهورية مصر العربية، صدر قرار عام ١٩٥٨م، بإدراجه ضمن النباتات التي تحظر زراعتها في الأرض المصرية، وعندما بدا استيراد القات في السودان من اليمن، منعت الحكومة السودانية زراعته واستعماله وتجارته، كما تم حظره في المغرب، واعتبر ضمن المخدرات.

أما في الجمهورية العربية اليمنية، في بداية السبعينيات من القرن الماضي، فقد عبر رئيس الحكومة في ذلك الوقت محسن العيني، في عام ١٩٧٢م، عن حكومته لآثار الاجتماعية والاقتصادية للقات، واتخذ قرارات، أهمها:

- عدم زراعة القات في الأراضي الحكومية.
- فصل الموظفين الذين يستعملونه.
- حث المزارعين بتقليل زراعته.
- عمل حملة إعلامية لتوعية الجمهور بمضاره.

إلا أن تلك الجهود قوبلت بعدم الرضا من السكان، مما اضطر الحكومة إلى التراجع عن قراراتها، على العكس من الوضع في جمهورية اليمن الديمقراطية، التي اتخذت مجموعة من الإجراءات التي تحد من انتشار القات، سواء الضرائب، أو بتحديد أوقات معينة للاستعمال، مع وجود برنامج للتوعية.

وقد عقد المؤتمر الدولي التخصصي الأول للقات في تنانريف بمدغشقر، في المدة من (١٧-٢١) يناير ١٩٨٣م، وشارك في المؤتمر متحدثون وممثلون من: جيبوتي، مصر، أثيوبيا، كينيا، مدغشقر، المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، الجمهورية العربية اليمنية، بالإضافة إلى خبراء من: فرنسا، الجبر، إيطاليا، السويد، الولايات المتحدة الأمريكية، والهيئة الصحية العالمية.

وأشرف على تنظيم المؤتمر المجلس الدولي للمسكرات والمخدرات، بالتعاون مع المسؤولين الحكوميين لجمهورية مدغشقر الديمقراطية.

ودارت المناقشات حول ما تم من محاولات وطنية وإقليمية ودولية، للحد من إنتاج واستهلاك القات على مدى الخمسة وعشرين سنة الماضية، والتي تخللتها عدة لقاءات نظمها الهيئات المختلفة الإقليمية والتابعة للأمم المتحدة. وعلى سبيل المثال لجنة خبراء

المخدرات الأفريقية، التي انعقدت في (الرباط - مراكش ١٩٨١م)، وخرجت بتوصيات، تقدمت بها إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بالمخدرات في دورتها الخاصة السادسة المنعقدة في فبراير ١٩٨٢م.

وقد لاحظ مؤتمر تناناريف، الاهتمام المتزايد بين دول المنطقة حول الزيادة السريعة في استهلاك القات، وآثاره الضارة على التنمية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية، وكذلك على صحة الأفراد.

كما أشار المؤتمر إلى قصور الإجراءات القانونية التي اتخذت حتى ذلك الوقت، في ضوء عدم وجود بيانات علمية عن الآثار الضارة لاستهلاك القات، وأيضاً لأن لتعاطي القات في بلدان معينة جذور عميقة في التقاليد الاجتماعية والثقافية.

وقد أبدى المؤتمر ارتياحه العميق للتقدم السريع في البحوث العلمية المتعلقة بالقات في مجالات الكيمياء وعلم الدوائيات التجريبي من جهة، ولكنه لاحظ من جهة أخرى، أن المعلومات البحثية في مجال الوبائيات، والاجتماع الاقتصادي، وكذلك الجانب الإكلينيكي، لا تزال ضئيلة.



• الأضرار الاقتصادية والاجتماعية للقات:

"إن الدوافع الاقتصادية لزراعة وتجارة القات، تعتبر في الوقت الحالي كبيرة، فليس هنالك محصول زراعي شائع آخر يمكنه أن يحل محل القات بدرجة فعالة؛ حيث متطلبات الزراعة التقليدية وخدماتها مكلفة جداً، مما يجعل منع زراعة القات أمراً صعباً، وقد قوبلت محاولات تحريم زراعته وتعاطيه بمقاومة صلبة في كينيا والحيشة، ونتيجة لهذا، أصبحت الحكومات أقل تشدداً في الاستمرار في هذه السياسة، وخاصة في ضوء الدخل الكبير الذي يدره القات.

والقات محصول شديد الإغراء للزراع؛ لأنه يدر دخلاً عالياً جداً، مع أقل تكلفة ممكنة في الإنتاج. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الطلب على القات في زيادة مستمرة، مما يؤدي إلى مواصلة أسعاره في الارتفاع، بدءاً من الزراعة إلى الدكان، وليس من الواقعي ألا نتوقع اتساع رقعته، وخاصة في غيبة سيطرة الحكومة أو التخطيط الموجه، والذي يتم حالياً دفعه بقوة"^(١).

وقد اكتسبت تجارة القات اهتماماً شعبياً، ويتجلى ذلك في ازدياد عدد الأفراد المشتغلين بها، وفي إحلاله محل المحاصيل الأخرى،

(١) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

واتساع الأراضي الزراعية المزروعة به، وتوفير وسائل النقل، وتقبل قطاعات مختلفة من الناس على القات لعدة أسباب:

■ أحد هذه الأسباب الرئيسية:

عائد القات الاقتصادي، فيبدو المزارع قانعاً، حيث يعمل قليلاً، لكنه يربح الكثير من إنتاجه، ويقبل المستهلك على استعماله، فيشاهد الرجل الفقير مسروراً، كلما أفق المال لشراء أوراق القات أكثر من وجباته، من ذلك لا بد أن نفتتح أن أنتاج وتجارة واستهلاك القات تضم أعداداً كبيرة من أفراد الشعب اليمني، وقد اتخذ غالبية المزارعين تجارة القات ذريعة لاستبدال المحاصيل الأخرى بنبات القات، فتقلع نباتات البن، ويزرع القات بدلاً منها في كثير من أجزاء البلاد، وتستبدل مزارع الذرة ومحاصيل أخرى بحقول القات، ويتزايد اتجاه استخدام الأراضي المتاحة غير المستحثة لزراعة القات، وتتوافر وسائل النقل من وإلى غالبية الأماكن في هذه البلاد، ولست على يقين تام، إن كان ما سبق ذكره، أسباب مباشرة أو غير مباشرة لتزايد تجارة القات، لكن غالباً ما تجد إن المنتجين والبائعين والمستهلكين يعتمدون بشدة على تجارة القات.

ولمضغ القات من الناحيتين الاجتماعية والدينية، جذور قوية وعميقة متغلغلة في النسيج الاجتماعي الثقافي للدول المعنية، ومن

جهة أخرى، فإن برامج الرعاية الصحية والاجتماعية غير موجودة مطلقاً، أو على أحسن الفروض ضعيفة في هذه الدول نفسها، لتقليل النتائج السلبية لتعاطي القات والإفراط فيه.

وإذا كان هنالك أي تقدم تجاه التقليل من الآثار السيئة للقات، فمن الضروري عمل مداولات بين الدول المنتجة الأساسية له، والدول الرئيسية المستوردة (المستهلكة). ومع هذا، فإن التوعية العامة فيما يتعلق بالقات، مهمة للوصول إلى قيام المجتمع بتغييرات إيجابية وإرادية؛ حيث إن أي تغيير تفرضه الحكومات في المناطق التي ينتشر فيها جمهور كبير من المستهلكين سوف يقاوم، سواء من منتجي أو مستهلكي القات.

"ولسوء الحظ، أن مضغ القات ينتشر بدرجة أكبر بين الفقراء، كما أشرنا سابقاً. وفقراء الحضر هم الأكثر تأثراً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية؛ حيث تستنفذ هذه العادة دخلهم وصحتهم، كما تخفض من إنتاجيتهم الاقتصادية، وليس من غير المعتاد، أن نجد رجالاً في أسرة حضرية، ينفق ما يبلغ (٦٠٪) من دخله الشهري على القات، وبذا يترك أسرته فريسة للجوع. وتنتهي مثل هذه الحالة غالباً بائس روابط الأسرة، مما يجعل كل عضو منها يعاني اجتماعياً واقتصادياً، مع فرصة ضئيلة، أو لا فرصة بالمرّة للإصلاح. والاتجاه

العام مع هذا، هو أن يقلل الأفراد من تعلقهم بالقات، كلما ارتفعت منزلتهم في السلم الاقتصادي والاجتماعي. ومع هذا، نجد أن العكس صحيح، ففي محيط الفقراء، كلما ازداد الفرد فقراً، وبدأ في ممارسة تعاطي القات، أصبح أكثر اعتماداً عليه.

وحراسة مزارع القات ليلاً، ومضغ القات لساعات طويلة، يقلل من الإنتاجية الجسمية والاقتصادية للفلاح، وغالباً ما تنخفض ساعات العمل اليومية الفعلية إلى ثلاث أو خمس ساعات، ونتيجة لهذا، يتدهور كثيراً إنتاج المحصول الغذائي، وتزيد حدة المشكلة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد المستوردة الضعيفة اقتصادياً، وهي في الغالب مجتمعات إسلامية، ذات تقاليد أكثر عمقاً لمضغ القات، كبديل للخمور والسجائر وما شابه ذلك، مما هو محرم على أسس دينية، وفي تلك البلاد نفسها المستوردة للقات، نجد أن الأمور الشائعة التجمع في مجموعات للصلاة أو لمناسبة اجتماعية؛ حيث يوزع القات على الحاضرين احتفاءً بهم، ويشمل ذلك حفلات الزفاف، ومناسبات الجنازة، وغيرها من المناسبات. وقبل كل شيء، فإن تحول المصادر المحدودة (الآدمية والمادية) نحو إنتاج واستيراد وتسويق القات، ذو تأثير سلبي على اقتصاديات البلدان المستهلكة للقات. وتتضح أقصى درجات خطورة المشكلة، إذا ما أخذ في الاعتبار حقيقة أن الإنتاج والمصادر الأساسية للمواد الغذائية سيئة، وقمил إلى التدهور في البلاد

المعنية، وتنخفض ساعات العمل غالباً لماضغ القات المعتاد؛ حيث يستنفد الفتور والوقت اللازم للإعداد للاجتماع التالي معظم وقته^(١).

"ومجلس القات ليس مجلس علم، ولا مجلس أدب، وليس بالتأكيد مجلس عمل، كما يتوهم الكثيرون. فالأدب والعلم والعمل أنشطة إيجابية في حياة الإنسان، أما مجلس القات، فلا يعكس إلا الإنسان في صورته السلبية. فالإنسان هنا ينفق ماله، ويهدر وقته، ويهبط إلى مستوى بسيط في السلوك، وقد يفقد في كل ذلك مستلزمات النظافة والصحة والوقار.

ولحسن حظ المجتمع الإنساني المعاصر، أن استعمال القات محصور في دوائر صغيرة ضيقة، فالغالبية العظمى من الشعوب لا تعرف القات، وبعضها يعرفه ولا يستعمله. كما وأن عرفاً دولياً بدأ يتشكل ويتجه إلى إدانة استعمال هذه المادة، كما وأن قاعدة علمية بدأت تتحدد معالمها، وتشير بالدليل إلى ضرر القات على الإنسان.

وقبل كل هذه الجهود، منع الدين استعمال القات على أساس تعطيله لعقل الإنسان، وعلى أساس الضرر الذي يلحق بحياته، وبدأت الأذهان تنبيه إلى الضرر، وباتت أعداد متزايدة من الناس تهتم بمخاطر

(١) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

القات على حياة الإنسان والمجتمعات، ورصدت الأموال، وأجريت الدراسات والأبحاث، وتبادلت الآراء، ودار النقاش، وعقدت الندوات، ولولا القناعة بالضرر، ولولا الرغبة في التعاون على ما فيه صالح لإنسان، لما قام كل هذا الاهتمام، ولما تم كل هذا النشاط، وإن كان يعد في بدايته.

وأود أن أتعرض لبعض المسائل الاجتماعية المتصلة باستعمال القات. وهنا يحسن الفصل ما بين المنتج والموزع، وبين المستهلك، أي ما بين المزارع والتاجر، وبين المستعمل نفسه.

الفئة الأولى: تتفق في الهدف والحافز على التعامل في القات. هذا الهدف أو الدافع هو الرغبة في الربح الوفير.

أما الفئة الثانية: فدوافعها متباينة إلى حد ما، وهي التي تتعرض للضرر الاقتصادي والاجتماعي أكثر من غيرها، بالطبع يستعمل المزارعون والبائعون القات، لكن مجرد الاستعمال ليس هو الدافع لهم على زراعة القات وتوزيعه، ولعل من المفيد التحدث عن كل فئة من الفئتين على حدة.

○ أولاً: المزارعون والبائعون:

يزرع القات في حيازات من الأرض الزراعية، تضيق وتتسع بحسب قدرات ملاكها. فلو أخذنا مساحة الدونم (وهو ألف متر مربع)، نجد أن متوسط قيمة ما ينتجه في العام، تتراوح ما بين (٣٠) ألف و (٦٠) ألف دولار أمريكي. وأن المزارع الذي يملك حيازة تتراوح ما بين (٢) دونم و (٣) دونم، مدخوله السنوي في المتوسط يبلغ نحو (٩٠) ألف دولاراً.

أما من يملك مساحة تزيد على (٣) دونم، ويزرعها قاتاً، فقد يصل دخله إلى (٢٠٠) ألف دولاراً سنوياً. ويبلغ الدخل الشهري لحوالي (٧٥٪) من زراع القات، ما يزيد على خمسة آلاف دولار.

أما تجار القات، فيتراوح دخل (٥٠٪) إلى (٧٥٪) في السنة، منهم ما بين (٤) آلاف و (٥) آلاف دولار شهرياً، وهذا يشير إلى أن الزراعة تدر ربحاً أكبر من التجارة، وربما عاد ذلك لسهولة تصريف القات، ولعلنية الأسواق. ويستدل من ذلك، أنه بتقييد السوق، وفرض الضرائب والرسوم على القات، وتكاليف نقله، يزداد ارتفاع سعره، ويجني من ذلك التجار في السوق أرباحاً أكبر، ستزيد على نسبة أرباح الزارعين.

وينبغي الإشارة إلى قيام طبقة من العمال الزراعيين الذين يعملون بالأجر في جني القات، ويستلمون أجراً شهرياً كبيراً مقابل العمل اليدوي في الزراعة، مما يشير إلى الرواج الاقتصادي للمهن الداخلة في إنتاج القات وتسويقه.

وتكمن المشكلة، في أن زراعة القات تتم على حساب الرقعة الزراعية بالمحاصيل الغذائية، فهذه تزداد انحساراً؛ لأن الريح فيها لا يتناسب مع الأرباح التي تحققها زراعة نفس الرقعة بالقات. غير أن قلة المحاصيل الغذائية، يزيد من مشاكل التغذية والصحة العامة للمواطنين. ومن جهة أخرى، يزيد من درجة اعتماد الدولة على الاستيراد للسلع الغذائية، مع ما يرتبط به من محاذير اقتصادية ووطنية.

وعلى ما تقدم، يمكن معرفة بعض الملامح الاجتماعية لهذه الفئة التي تتولى إنتاج وتسويق القات، فهي فئة موسرة ومستقرة مادياً واجتماعياً، ولديها ما يكفي للإنفاق على متطلبات الحياة، وتعليم الأبناء، والترويح، وهم يقيمون في بيوت يملكونها، مشيدة في الغالب على النمط العصري، وبها المرافق الحديثة، ويعولون أسراً كبيرة، ويتطلعون مثلهم مثل غيره من المنتجين الناجحين وكبار التجار، إلى مزيد من خدمات الترفيه، وإلى مزيد من الرفاهية الاجتماعية.

* * *

○ ثانياً: مستعملو القات:

مستعملو القات في الغالب من الأميين، وإن كانوا في بعض المجتمعات من المتعلمين. وهذا يرتبط بنظرة المجتمع إلى استعمال القات، والمستوى الذي يصنف فيه هؤلاء. وعلى كل حال، هناك ميل يتزايد بين المتعلمين في هذه المجتمعات الأخيرة على نبذ استعمال القات.

ومستعملو القات أغلبهم متزوجون، ويعولون أسراً وأبناءً، وتصل نسبة من يعولونهم عشرين شخصاً فأكثر، (قاربة ٦٤٪ من مستعملي القات)، إلا أن هذه الفئة يظهر عليها عدم الاستقرار، كما وأن فيها من دواعي عدم الاستقرار اجتماعياً، ما يتمثل في وجود نسبة عالية من العزاب الذين لم يسبق لهم الزواج، وينعكس وضع مستعملي القات الاجتماعي في ظرفهم الاقتصادي، فهم على النقيض من الفئة السابقة، يدفعون أجراً لمساكنهم، أو يسكنون في مساكن شعبية بسيطة، وبعضهم لا يقيم مستقراً في عائلته، بل منفرداً، أو مع نفر من أصدقائه، ممن يماثلونه في الظروف، وأن نسبة عالية (٦٠٪) من مستعملي القات، ليست لهم دخول ثابتة يعولون أسرهم منها، ذلك رغم أن أغلبهم يعولون أفراداً كثيرين، وحوالي نصف أفراد هذه الفئة، يقل دخلهم الشهري عن (٢٠٠) دولار، وهم على الأغلب في مجموعهم لا يتعد دخل الأسرة الشهري فيهم ألف دولار، وعلى الرغم

من ذلك، فإن شراء القات يتم يومياً، ويقرر بعض مستعملي القات، أن معروضهم بصفة عامة يزيد على دخولهم، وهذا على نقيض الفئة الأولى فئة المزارعين والتجار، الذين يزيد دخلهم على إنفاقهم.

ولقد أمكن التعرف على الطور الذاتي للمتعاملين في القات، من حيث الغنى والفقر، فكل الزراعيين، وكل التجار، يعدون أنفسهم في مصاف الأغنياء في مجتمعاتهم، في حين أن نسبة (٧٥٪) من المستعملين، يرون أنفسهم فقراء، ونحو (٣٠٪) على أنهم في أعداد متوسطي الحال، ويتراوح مصدر دخل المستعملين، ما بين دخل الوظيفة، وبين الاقتراض، ومعونة الأهل، تلك كانت ملامح عامة للظروف الاجتماعية المحيطة بالمتعاملين بالقات.

ويمكننا هنا تقديم الملاحظات المبدئية التالية:

- وإذا كان هنالك أي تقدم تجاه التقليل من الآثار السيئة للقات، فمن الضروري عمل مداولات بين الدول المنتجة الأساسية للقات، والدول الرئيسية المستوردة (المستهلكة). ومع هذا، فإن التوعية العامة فيما يتعلق بالقات، مهمة للوصول إلى قيام المجتمع بتغييرات إيجابية وإرادية؛ حيث إن أي تغيير تفرضه الحكومات في المناطق التي ينتشر فيها جمهور كبير من المستهلكين سوف يقاوم، سواء من منتجي أو مستهلكي القات.

- حيث تميل فئة مزارعي القات وتجاره نحو الغنى، بينما فئة المستعملين تميل إلى الفقر، ومهما يكن من أسباب غنى هذه، وفقر تلك، فإن أبرز العوامل التي تظهرها الدراسة في ذلك، هو إنتاج وتوزيع الفئة الأولى، واستهلاك الفئة الثانية للقات، فكأن هناك علاقة بين تعامل الفئة الأولى في القات وغناها، وبين استعمال الفئة الثانية للقات وفقرها.
- يشكل الإنفاق على شراء القات وجهاً رئيسياً من أوجه الصرف لمستعملي القات ذلك، في حين أن دخل المستعمل أقل من مصروفه بصفة عامة، على عكس المنتج والموزع، الذي يزيد دخله بمراحل على إنفاقه، إن ثمة علاقة تقوم ما بين رقة الحال واستعمال القات، فكأن الاستعمال هنا هو من باب الهروب من مرارة العيش وقسوة الظروف، وكلما زاد الاستعمال زاد الإنفاق على شراء القات، وبالتالي تمكن الفقر من صاحبه، وازدادت مشاكله، أما الأغنياء، فلعلهم يستعملون القات لدوافع مغايرة.
- هناك شبه علاقة تقوم ما بين عدم الاستقرار العائلي المتمثل في عدم الزواج، وفي تفكك الأسر، وبين استعمال القات. فتظهر في فئة المستعملين ظاهرة عدم الاستقرار، ولا تظهر في فئة المنتجين والموزعين.

- لا يمكن الجزم بوجود علاقة بين التعليم واستعمال القات، فمعظم
الزارعين والموزعين من الأميين، كما هو الحال بالنسبة للمستهلكين،
ويرجع السبب في ذلك لانتشار الأمية بشكل عام في البيئات التي
يتعامل فيها بالقات.

أما زراعة القات، فتؤدي إلى نقص زراعة وإنتاج المحاصيل
الغذائية، وقلة العرض فيها، مما يؤدي إلى:

- قلة الاستهلاك للمحاصيل الغذائية، وبالتالي سوء التغذية، وما
يصحبها من أمراض.
- زيادة الإنفاق على الاستيراد، وبالتالي قيام الاعتماد على المصادر
الأجنبية في توفير السلع الأساسية، مما يتعارض مع الاعتبارات
الوطنية الهامة^(١).

* * *

(١) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

○ آثار القات على المحاصيل الزراعية الغذائية والنقدية:

"القات يزاحم المحاصيل الزراعية الغذائية والنقدية، وهو بذلك يهدد الأمن الغذائي للمجتمع، ويقلص من المساحات الصالحة للزراعة، ويمكن الإشارة إلى ذلك على النحو الآتي:

١. خلال ثلاثة عقود، زادت المساحة المزروعة بالقات، بحوالي (١٨) ضعفاً، من (٧) ألف هكتار في ١٩٧٠م، إلى (١٢٧) ألف هكتار في ٢٠٠٥م، وهي تمثل (٢٥٪) من الأرض الزراعية المروية.

٢. إنتاج القات، ارتفع من (١٠٨) ألف هكتار في عام ٢٠٠٠م، إلى (١٢٧) ألف هكتار في عام ٢٠٠٥م.

٣. ارتفعت نسبة المساحة المزروعة بالقات، من (٩,١٪) في عام ٢٠٠٠م، إلى (١١٪) من أجمالي المساحة المزروعة في عام ٢٠٠٥م.

■ فماذا تعني هذه المؤشرات؟

- أ. زراعة القات تحل بمعدلات متسارعة محل زراعة المحاصيل الزراعية التي تشكل الأمن الغذائي للمجتمع.
- ب. زيادة درجة انكشاف البلد فيما يتعلق بالأمن الغذائي، الذي يصبح معتمداً على الخارج.
- ج. اختلال الميزان التجاري لغير صالح اليمن، بسبب ارتفاع فاتورة الواردات الزراعية سنة بعد أخرى.
- د. تفاقم عجز الميزان التجاري، يهدد قيمة الريال اليمني، ويسبب ارتفاع أسعار السلع الغذائية سنة بعد أخرى. ارتفع عجز الميزان التجاري من (٥,٤٣٧) مليار ريال لعام ٢٠٠٧م، إلى (٧,٥٦٨) مليار ريال لعام ٢٠٠٨م.
- هـ. تدمير التربة بسبب الاستخدام المفرط للمبيدات والأسمدة الكيماوية، وتراكم مخلفاتها في الأراضي والمياه السطحية.

و. المشكلة أكثر خطورة في ظل محدودية الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة، والتي تبلغ نحو (٥,١) مليون هكتار فقط، أو ما يعادل (٢,٥٪) من إجمالي مساحة الجمهورية اليمنية^(١).



(١) المصدر: قناة مكافحة القات.

• من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية لاستعمال القات:

أ- الفساد:

يبدو أن استهلاك القات يؤدي إلى الفساد وارتكاب الجرائم؛ حيث إن العادة مكلفة للغاية - إذ أخذنا بعين الاعتبار دخل الفرد - ، ويجبر المستهلك على كسب المزيد من المال ليرضي رذيلته، ويميل مدمن القات إلى الإساءة لمركزه، بتقديم معروف بغير حق، مقابل نقود أو قات، وينجم عن ذلك ظلم اجتماعي وسوء الإدارة، وإذا ما وصلت هذه الخاصية إلى القطاعات الأكبر، انهارت الحياة الاجتماعية برمتها والاقتصاد، إضافة إلى الأموال التي تذهب إلى جيوب بعض مسؤولي ومشايخ وأعيان أمانة العاصمة والمحافظات، والعاملين في مجال تحصيل ضريبة القات، بدون وجه حق.

* * *

ب- عدم الاستقرار العائلي:

عادة ما تكون العائلات كبيرة في البلدان النامية، ولسوف ينعكس العبء الاقتصادي الثقيل للماضغ عليهم؛ إذ يشعر أفراد الأسرة أنهم غير قادرين لإرضاء احتياجاتهم العديدة، وحل مشكلاتهم الاقتصادية الخطيرة، وفي نفس الوقت، يرون أن جانباً ضخماً من

دخلهم يتحول إلى عادة لا طائل من ورائها لأي فرد منهم، وهذا يؤدي إلى الشعور بعدم الرضى، وإلى ردود فعل سلبية، كما يبدو الماضغ غالباً سريع الغضب.

* * *

ج- انحراف الأحداث وسوء تنشئتهم:

يقدم المدمن للقات نموذجاً (سيئاً) من السلوك لأبنائه؛ حيث يتركهم يعانون الحرمان والحاجة، بسبب انشغاله بنفسه، واهتمامه بتأمين ما يحتاجه هو، من أجل تعاطيه القات، ويقضي وقتاً طويلاً في التخزين ضمن شلل أو مجموعات، ويترك الأبناء دون رعاية وإشراف، يؤدي إلى التحلل أو التفكك الأسري، إضافة إلى إحساس الأبناء بالنقص تجاه أقراهم، الذين يجدون الملابس الجديد، ويتنزهون مع أسرهم، ويحرمون أيضاً من الدورات التعليمية، أو المشاركات في الأنشطة الرياضية؛ بسبب عدم توفر المبالغ المالية، أو بسبب ضياع وقت آبائهم في مجالس القات، وعدم تخصيصهم جزءاً من الوقت للترويح عن أبنائهم، فيفقد الأبناء الثقة في أنفسهم، ويزرع الحقد في صدورهم؛ بسبب الحرمان الذي يعيشونه، مقارنة مع غيرهم، مما يدفع الأبناء إلى سلوكيات غير سوية، وعدم تحمل المسؤولية، وقد يحترفون السرقة، ويتعاطون القات وغيره من المخدرات، كما أن الأبناء يقتدون بآبائهم، فإذا انتشرت هذه العادة بين الأجيال المتعاقبة، سيكون لدينا

في المستقبل مجتمع متهالك، تسوده الفوضى، ولا يقوم بواجباته وخدمة نفسه.

* * *

د- العزوف عن الزواج:

الشباب الذين أدمنوا القات، وهم من الطبقات المتوسطة أو الفقيرة، لا يستطيعون الوفاء بمسئلات وتكاليف الزواج؛ إذ أن دخل الواحد منهم يستهلك في الأنفاق على شراء القات، الذي يجد في مجالسه نشوة القات، ويرى أنها قد تغنيه عن الزواج الذي يعجز عن تكاليفه، وقد لا يجد يد العون من والده أو إخوانه، إذا كانوا من مدمني القات، كما أنه قد لا يوفق في إيجاد شريكة حياته، والتي قد ترفضه بسبب إدمانه على تعاطي القات.

* * *

هـ- الفساد الاجتماعي:

☒ يؤدي تعاطي القات إلى مفاسد اجتماعيه؛ بسبب ما تكلفه هذه العادة السيئة من أموال، تجبر المستهلك على كسب المزيد من المال ليرضي رغبته، والغاية عنده تبرر الوسيلة، فلا مانع من استغلال مركزه الوظيفي في الحصول على الرشوة،

وتقديم الخدمة لمن لا يستحقها، مقابل مبلغ من المال، أو دعوة إلى مجلس قات، مقابل هذه الخدمة التي تقدم لمن لا يستحقها.

✧ كما أن الفساد الاجتماعي الناجم عن القات، قد يتجاوز الطبقة الصغيرة من الموظفين، إلى طبقات أعلى، يمكنها التعاطف مع المهترئين من الضرائب والزكاة، كما أن انتشار ظاهرة تعاطي القات بين المثقفين في المجتمع، قد توجد لدى ضعفاء النفوس تبريراً لأن يقوموا بعملية التهريب.

إن الدين الإسلامي حريص على سلامة الفرد والأسرة والمجتمع، عملاً بالقاعدة الفقهية الشهيرة: (لا ضرر ولا ضرار)، أي لا تضر نفسك، ولا تضر غيرك. والشريعة الإسلامية جاءت للمحافظة على المصالح الضرورية للناس، وقد حصرها الشرعيون في خمس: (الدين، والنفس، والعقل، والعرض "النَّسْل"، والمال). ولا شك أن لتعاطي القات أضراراً بليغة على الدين، وعلى الصحة، والعقل والنفس، والعرض والمال.

- ⊠ ضرره على العرض والنسل: فكم من الليالي التي يقضيها المتعاطي في السهر، ويهجر زوجته وأولاده ليالي عديدة، مما يتسبب في ضياع حقوق الزوجة والأولاد وتشردهم.
- ⊠ ضرره على المال: وكم من مبالغ يصرفها المتعاطي على القات، وأسرته وأولاده بحاجة إلى هذا المال.
- ⊠ ضرره على الدين: وكم من واجبات دينية يتركها أو يهملها المتعاطي، كتركه للصلاة، أو تأخيرها عن وقتها، أو معصية للوالدين، وعدم البر بهما، أو قطع لصلة الرحم. وكم من معاصٍ يقترفها أثناء تعاطيه القات، كالتدخين ومشاهدة الأفلام الخليعة.
- ⊠ ضرره على النفس والعقل: وكم هي الأمراض العضوية والنفسية التي تصيب المتعاطين للقات.

أليست هذه الأمور تلحق الضرر المباشر في الضرورات الخمس، التي حرص الدين الإسلامي على الحفاظ عليها؟! قال رسول الله: «لا تزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسَالَّ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ».

و- القات واستنزاف المياه:

القات يستنزف كميات كبيرة من المياه، مما يعرض الموارد المائية للنضوب، خاصة وأن الزراعة في اليمن تعتمد على مياه الأمطار، ولا توجد مصادر مائية كالأنهار، كما أن زراعة وتسويق القات يضر بالاقتصاد؛ لأن زراعة القات تأتي على حساب زراعة ما يفيد، كالحبوب وأشجار البن وغيرها، ففي الوقت الذي انتشرت عبارة: (موكا) في كل بقاع الأرض، نسبة إلى أشهر ميناء يمني لتصدير البن قديماً (المخأ)، انحسرت زراعة البن، وانتشرت زراعة القات، وفي الوقت الذي يعاني الناس من غلاء السلع الغذائية، نجد أن زراعة الحبوب أصبحت لا تذكر، كأن أكل القات أهم من أكل القمح.

* * *

ز- من الناحية الدينية:

إن غالبية المخزنين يسهرون الليل وينامون النهار، إذن، المخزن لا يصلي الظهر والعصر، حتى أن البعض يسهرون حتى قرب الفجر، ويتكون صلاة الفجر، كما أن غالبية المخزنين يغتابون الناس أثناء جلوسهم في مجالس التخزين. والغيبة والنميمة من الأمور المحرمة في ديننا الإسلامي.

* * *

ح- آثار اجتماعية أخرى:

ولمضغ القات من الناحيتين الاجتماعية والدينية جذور قوية وعميقة، متغلغلة في النسيج الاجتماعي الثقافي للدول المعنية، ومن جهة أخرى، فإن برامج الرعاية الصحية والاجتماعية غير موجودة مطلقاً، أو على أحسن الفروض، ضعيفة في هذه الدول نفسها، لتقليل النتائج السلبية لتعاطي القات والإفراط فيه، منها:

- كثير من المخزنين لا يجدون وقتاً لزيارة أقاربهم، والبعض بزيارات كل شهر أو كل سنة، والبعض بالاتصال تلفونياً فقط، وفيهم غير ذلك.
- لا تعيش الأسرة بسعادة، ويصبح أفرادها كالأيتام، بسبب عدم وجود الأب المتعاطي للقات بينهم.
- أن نسبة الخسائر المالية التي يخسرها الفرد الواحد في القات تعادل ضعف ما تأخذه الأسرة من مصاريف المنزل والمدرسة. فغالبية السكان دخلهم محدود، ويشكل شراء القات أضراراً بالغة بالاقتصاد الأسري، يحرم الأسرة من الغذاء والملبس والسكن.

- أن أسعار القات مرتفعة جداً، وقد يلجأ البعض إلى الاستدانة (الاقتراض)، فيزداد متعاطي القات همّاً على همّ، وتصبح حياته كلها همّاً وغمّاً.
- يقدر حجم الإنفاق الشعبي على القات (٣٠٠ مليار) ريال يعني سنوياً، وهذا مخيف؛ لأن نسبة الفقر في اليمن ليست بسيطة، مما يزيد من صعوبة الحياة الكريمة لأعداد كبيرة من الناس.

ويمكن القول، إن عادة مضغ القات، يمكن أن تؤثر تأثيراً خطيراً على جميع جوانب الحياة الأسرية، وأن تؤثر على مقدرة المتعاطي على العمل. وكما هو الحال عادة مع مدمني المخدرات، فإن متعاطي القات لا يكون لديهم الحرص الواجب نحو رعاية ومصلحة أسرهم.

وكما أوردنا سلفاً، فإن غالبية ماضغي القات من الفقراء، وهم عادة من العاطلين، وفي هذه الحالة تكون عادةً شراء من حزمة إلى أربعة حزم من القات في المتوسط، عبئاً على دخل الأسرة نتوء بحمله، ويهبط بدخلها أحياناً إلى أقل من (٥٠٪). أما في أوساط القادرين، فتكون العواقب الاقتصادية لتعاطي القات أقل وطأة، ولكن من جهة

أخرى، ترتبك العلاقات الزوجية، وقد تضعف فرص الزوج بدرجة خطيرة في القيام بالأعمال الماهرة، أو تولي المراكز المسؤولة.

ولتعاطي القات عواقب وخيمة جداً على الحياة الزوجية، فيغيب الأزواج عن منازلهم حتى وقت متأخر من الليل، وعندما يرجعون، فإنهم قد يكونون إما في هياج وقلق وعداء، أو صامتين ومنزوين وغير ودودين. ويؤدي القات بسرعة في عدة حالات إلى تدهور النشاط الجنسي، وتزايد الفرقة بين الزوجين، وقد زادت مؤخراً حالات انهيار الزيجات زيادة سريعة، وقدرت معدلات الطلاق أحياناً بنسب كبيرة.

ومن العواقب التي لا يمكن تجنبها في مثل هذه الأوضاع: سوء التغذية، والسل الرئوي، وسوء تربية الأطفال. كما يعاني الأطفال من الشعور بالنقص بين زملائهم في المدرسة، وخاصة عندما تقترن أحوالهم بالمظهر الرث للاباسهم.

* * *

○ ومن مشاكل القات الاجتماعية:

زيادة معدل الهجرة للإيفاء بثمن القات، أو الهروب منه، إضافة إلى أن تعاطي القات يهدر ساعات كثيرة في اليوم، وبدون أي فائدة؛

حيث تصل عدد الساعات المهذرة في اليوم لبعض المتعاطين إلى حوالي (١٤) ساعة، وعلى النحو التالي:

- ◆ ساعتين للبحث عن القات وشرائه.
- ◆ ساعة لتغسيله وتجهيفه.
- ◆ ست ساعات لتناوله.
- ◆ ساعتين بعد الانتهاء من تناوله يكون المتعاطي غير طبيعي، ولا يستطيع القيام بأي عمل.
- ◆ ثلاث ساعات كأقل تقدير تخصم من ساعات النوم لعدم القدرة على النوم.

ويتحدث بعض الاقتصاديين عن دورة اقتصادية للقات، وعن انتعاش اقتصادي للدورة الاقتصادية للقات.

إن الدورة الاقتصادية الداخلية التي يحدثها القات، هي دورة اقتصادية قائمة على زراعة القات في الريف، وبيعه في المدن، ويرتب عليها دورة بين المنتج والوسيط والمستهلك، هذه الدورة لا تقوم على أسس اقتصادية، وهي أقرب ما تكون للدورة الاقتصادية العارضة للمخدرات، وسرعان ما تزول بعودة الدورة الاقتصادية الموسوعية، وزوال آثار القات السيئة، إن هذه الآثار السيئة ستؤدي لتدهور

اقتصادي، بل وكارثة اقتصادية على المدى البعيد يصعب معالجتها، وستكون تكلفة معالجتها باهظة على الدولة والمواطنين.

إن مؤشرات تأثير القات الاقتصادية قائمة وقوية، من هذه المؤشرات:

١. التوسع في زراعة شجرة القات على حساب الأراضي الزراعية، التي هي بالأساس محدودة، ولا تفي بالقدر اليسير من الحاجة التي كانت تفي بها في الماضي، ويتم التوسع على حساب زراعة منتجات البن والعنب والذرة وغيرها من المنتجات الزراعية.
٢. هدر جزء كبير من الوقت في تخزين القات، وبالتالي ضياع جزء كبير ومهم من الوقت يمكن أن يستخدم في الإنتاج الاقتصادي، ورفع مستوى الناتج القومي، وتحسين مستوى دخل الفرد، ورفع مستوى المعيشة للأفضل.
٣. استنزاف المياه الجوفية: إن اليمن من الدول التي تعاني من شحة مواردها المائية، وتبقى مشكلة المياه مشكلة استراتيجية، مؤشرات ظاهرة، نتيجة التوسع في حفر الآبار، واستخدامها في ري الأراضي المزروعة بالقات، بل أصبح القات المنتج الزراعي المروي بالمياه الجوفية والمياه الجارية على الأغلب.

إن استخدام المخزون التاريخي من المياه الجوفية في ري القات، دون التعويض الكافي، سيؤدي في الأخير ليس لحرمان الأراضي الزراعية، بل وحرمان الناس من المياه الضرورية للشرب، وهذه المشكلة يجب الوقوف عندها بروية، وبقليل من التفكير، وإيقاف حفر الآبار واستخدام بعضها.

٤. ارتفاع أسعار المنتوجات الزراعية، نتيجة قلة العرض وزيادة الطلب، وزيادة الواردات الزراعية.

٥. التوسع في زراعة القات على حساب المساحات المحدودة لرعي الثروة الحيوانية.

٦. قلة دخل الفرد والأسرة، وحرمانها من الادخار والاستثمار.

* * *

○ ومن الآثار الاقتصادية للقات أيضاً، وخاصة في اليمن:

كانت اليمن من أشهر الدول المصدرة للبن، ويُعتبر البن اليمني من أجود أنواعه على الإطلاق، فتأثرت زراعته وقطاع الزراعة في الجمهورية اليمنية بشكل عام بسبب زراعة القات، والذي يستهلك قرابة ٤٠٪ من مياه الري، خاصة وأن محصول البلاد من المياه ضئيل

أصلاً، وكل حزمة تكلف حوالي ٥٠٠ لتر من الماء، ويقول العلماء: "إن صنعاء، قد تكون أول عاصمة في العالم تجف فيها المياه تماماً".

والحقيقة، أن القات يشكل خطراً اقتصادياً قاتلاً، فالقات يؤثر على سير الأعمال في اليمن، فرغم البطالة المرتفعة بين الشباب، إلا أن الموظفين منهم لا يقضون سوى بضع ساعات في الصباح لأعمالهم، ومن الساعة الثانية ظهراً تقريباً، تتوقف عجلة العمل في اليمن، وينحسر النشاط في صنعاء إلى بدايات المساء، وفق تقرير (مجلة النيويورك الأمريكية)، فكثير من الأراضي الزراعية الصالحة لزراعة الفواكه والخضار، اقتطعت لزراعة القات؛ للمدخل الكبير الذي ينتج عن تجارته، ومعظمهم من مشايخ القبائل المتنفيين، بالذات في المرتفعات الجبلية المسلحة، والمقربين من السلطات يكادون يعتمدون اعتماداً شبه كلي على تجارة هذه النبتة، ولم تبذل الحكومة جهداً يذكر لمكافحة استخدامها؛ لأن الضرائب المفروضة أصلاً لا تجد طريقها إلى خزانة الدولة، بل إلى هؤلاء المسؤولين، وفق تقرير (مؤسسة جيمس تاون الأمريكية)، بل في (فيلم وثائقي) بطابع دعائي من إنتاج مجموعة: (إم بي سي)، تصف فيه أحد المسؤولين الكبار في الدولة بـ"باني اليمن، ومغيرها من حال إلى حال"، حيث أخبر هذا السؤل الإعلامية (نيكول تنوري) أن القات مثل الشاي، مدخول تجارة القات يقارب ١٢ مليون دولار يومياً، كان الاقتصاد اليمني عبر العصور يحقق الاكتفاء الذاتي،

ولم يستورد اليمنيون طعامهم أبداً، الآن حوالي ٨٠٪ من الغذاء مستورد.

وقد أدرجت منظمة الصحة العالمية القات عام ١٩٧٣م، ضمن قائمة المواد المخدرة، بعدما أثبتت أبحاث المنظمة التي استمرت ست سنوات، احتواء نبتة القات على مادي: (نوربسيديو فيديرين، والكاثين) المشابهتين في تأثيرهما للأمفيتامينات.

في عام ٢٠٠٩م، تم استخدام مليار لتر من الديزل لضخ المياه لأغراض زراعية، وقد قدرت الحكومة مقدار ما صرفته لاستنزاف مواردها المائية بنفسها بقرابة ٧٠٠ مليون دولار، ومرد مشكلة المياه في اليمن، هو تخزين القات؛ إذ تحتاج هذه الشجرة مياهاً أكثر من باقي الأشجار، وزيادة الطلب عليها يدفع المزارعين والتجار إلى مضاعفة إنتاجهم، يتم استهلاك كمية مياه عالية جداً، لدرجة أن مستويات المياه الجوفية في حوض صنعاء آخذة في التناقص بسبب هذا، والمسؤولين الحكوميين اقترحوا انتقال أجزاء كبيرة من سكان صنعاء إلى ساحل البحر الأحمر.

في بلدان أخرى خارج المنطقة الأساسية المحتملة في النمو والاستهلاك، يمسغ القات في الحفلات أو المناسبات الاجتماعية. ويستخدم من قبل المزارعين والعمال للحد من التعب الجسدي أو

الجوع، والسائقين والطلاب لتحسين الاهتمام. في ثقافة سكان النخبة المضادة في كينيا، فإن القات (المشار إليها محليا باسم فيفي أو ميرا)، يستخدم لمواجهة الآثار المترتبة على شرب الخمر، على غرار استخدام ورقة الكوكا في أمريكا الجنوبية.



• مشاكل القات في اليمن:

○ تعاطي القات وشبابنا إلى أين؟

عندما نتحدث عن الإنسان الذي يحمل صفات كثيرة في داخله، فالناس ليسوا على شاكلة واحدة، بل هم في صنوف شتى، وتركيبات مختلفة، ومنهم فئات تتشابه في طباعها، من حيث الطيب واللين والصدق، والجرأة والشجاعة والإقدام، وعلى ذلك فئات أخرى تشترك في الشر وسوء الأخلاق، والكذب والانحراف، والنفاق والدجل، وسيئ الأمور، الأهل لهم دور كبير في توجيه الأبناء نحو الأفضل، أو تركهم إلى المجهول والضياع، وتنتأسف على الإخلال هذا.

اليوم بعض من شبابنا إلى أين وصلت أخلاقهم؟! وكيف أصبحت هابطة؟! هذه هي الحقيقة، إلا ما رحم الله، ويوجد شباب صالحون، ذووا أخلاق رفيعة، فهم النور الساطع في الظلام الدامس.

أيضاً الجانب الآخر، تناول القات لفئات الشباب في عمر الزهور، أعمارهم لا تتجاوز ١٥ عاماً وما فوق، وكذلك تجد من أعمارهم أقل من هذا العمر، وهم في مجالس القات، الشيء المحزن، أن بعض الآباء تاركين الحبل على الغارب، الأبناء في النهار في غياب عن

الأسرة، ويجي ابنه في منتصف الليل، ولا يحرك ساكناً، للأسف، حتى ما يسأله: ليش تأخرت؟ وأين كنت؟ ولماذا التأخر كل يوم؟ ومن أين جئت؟.. لماذا وصل بالآباء والأمهات إلى هذا المستوى في عدم مسألة الأبناء ومراقبتهم. نسأل الله السلامة.

ونجد أن القات والشمة والتدخين وتعاطيها، أكبر سبب في الانحراف والبلاء الذي أصاب الشباب والناس، بمختلف فئات العمر المختلفة

فعلى الآباء أن يحرصوا على متابعة أولادهم، وتربيتهم تربية حسنة، وإلا سيكون عليهم القسط الأكبر من الانحراف، وحصول المشاكل المخلة بالأسر والمجتمع ككل، سيدوقون مرارته.

لا تقوم المجتمعات ولا الأوطان إلا بهم الشباب، فهم عمادها وأسباب رفعتها، وهم صناع كرامتها وعزتها، وإن مما يؤلم أن يرى هؤلاء الشباب في غير طريقهم، حين ينحرفون ويسلكون مسالك مهلكة وخطيرة، ومخلة للأدب، فيجب كذلك على وسائل الإعلام المختلفة، وخطباء المساجد، ووسائل التواصل الاجتماعي، القيام بدورهم بتوعية الشباب من الانحرافات، واجتناب الأمور المؤثرة على الشباب، ومنها

القات والتدخين والشمة والمخدرات، والصحة السيئة، حتى ينشأ مجتمع صالح، يسوده الإخاء والتعاون، والاحترام المتبادل بين الناس، والتصرف بالمعقول والطيب.

ووقاية أجيال الشباب أيضاً ضد المخاطرة بتعاطي القات، يمكن أن يتحقق أيضاً عن طريق برنامج تثقيفي، وتنمية النشاطات الرياضية والثقافية، التي تدفع بهم إلى أنماط من السلوك أكثر نشاطاً وصحة.

ويجب تنظيم هذا البرنامج الثقافي للصغار، بدءاً من سن عشر سنوات فما فوق، ويجب أن يشتمل على جميع المعلومات الضرورية عن التأثيرات الضارة للقات على صحة الفرد، أو على حياة الأسرة، وكذا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع بشكل عام، ويجب أن ينفذ مثل هذا البرنامج التثقيفي ليس فقط في المدارس، ولكن في مراكز الشباب أيضاً، ويجب أن يكون المعلمون والمثقفون على دراية تامة بالموضوع، مع إعدادهم بطريقة خاصة، لضمان دورهم المؤثر في الحملة الجماهيرية ضد تعاطي القات، وتنمية الأنشطة الرياضية والثقافية للأولاد والبنات، قد تصرف اهتمام الشباب عن تعاطي القات، وخاصة في الوقت الحاضر، وهذا يعني زيادة مراكز الشباب والمنشآت الرياضية، لضمان تغطية أوسع، كما أنه لا بد من توجيه

التوعية ضد تعاطي القات إلى الكبار، ويجب تنظيم الحملات الإعلامية في جميع الأوساط الممكنة.

* * *

○ مشاكل تناول اليمنيين للقات في الخارج:

"كل مشاكل القات وأوجاعه (كُوم)، ومشاكل تناول اليمنيين له في الخارج ومخاطر تعاطيه وتحويله إلى هناك (كُوم) لوحده.

▪ إنها البلوى عندما يحمل القات ويحاول أن يعبر به القارات؛ لأن لا أحد منعه من أن يعبر به الحارات، والحصيلة هذا التصادم غير المتكافئ، بين مولعي يمني حمل القات إلى الخارج طمعاً في اقتناص ساعة سليمانية في ما وراء الحدود والمحيطات، لا ليودع عجينة قاته المتفل، وإنما ليقع هو نفسه في المخفر على أيدي أجهزة أمنية نشطة تطبق قوانين تصنف القات ضمن قائمة المخدرات.

▪ ومع أنني من أعداء القات، إلا أنني أشعر بوجع مُضاعف، عندما أتابع خبر القبض على يمينين وإيداعهم

السجن، لتناول القات أو تهريبه من مطار أو ميناء بحري أو منفذ بري.

▪ موالعة داخل اليمن يقررون أن يحملوا القات إلى خارج اليمن، إما بدعوى الاستخدام الشخصي، أو كهدايا أو اتجار، وهي مغامرة خطيرة، وسلوك أرعن، وما أغناهم عن الحاجة للتحويل إلى مقاومة سفري، يُعرضون أنفسهم ومواطنيهم من موالعة الاغتراب والمهاجر لعقوبات لا يستدعي لها العقل في شيء.

▪ ولقد تعالت أصوات عقلاء يحذرون مما يتعرض له موالعة ومهريو القات، من عقوبات قانونية صادرة عن دول ترى في القات جريمة تستوجب عقاب يصل إلى السجن المؤبد، بل وحتى الإعدام.

▪ ولو تخلص كل هؤلاء من الذاكرة السمكية، ومن عبط المغامرة، لتجسدت أمامهم مخاطر أن يسافر الواحد منهم وفي حيازته القات.. وهنا يمكن استحضار الإجراءات التي انتهت بكثيرين إلى الوقوع في أيدي سلطات أمنية تتعامل مع هذا الموضوع بلا رحمة وبالقانون.

- والحق أن ما نسمعه من وقت إلى آخر من أخبار القبض على يمنيين على ذمة القات، وبتكرار لم يتعلم منه الشطار، يجعلك كيمي تضرب كفاً بكف، وكأنك سعد باشا زغلول، وهو يقول: (ما فيش فايذة.. غطيّني يا صفية).
- قات في مطار كوالالمبور، بين يدي مسافرين غير قادرين حتى على تجنب خلافات الطمع الذي يلفت الأنظار إلى القات المحرم.. انقلاب سيارة محملة بالقات متوجه عبر البر، وبكميات تجعل عساكر الحدود يفاخرون بأنهم قبضوا على القات المتطاير من السيارة المنقلبة، بدلاً من إسعاف مصابين تتعالى صرخاتهم من أوجاع الحادث.. وطلاب يتعرضون للاعتقال في أماكن قصية من العالم بتهمة القات.. وذات يوم انتصب ما تبقى من شعر رأسي، مع خبر يشير إلى أن ١٥٠ يمنيّاً جرى اعتقالهم في سلطنة عمان وحدها، بتهمة تهريب القات..
- مؤسف أن يتجاهل الذين يتعاطون القات، أو يتّجرون به، أو يرسلونه هدايا لموالعة الخارج، إنهم سيئون لليمن، ويضرون مواطنين يسافرون بداعي الدراسة أو العلاج أو

السياحة، أو حتى العودة إلى مدن هجرتهم، فيعانون في الموانئ والمطارات والمنافذ البرية من إجراءات تفتيش استثنائية، دون خلق الله المسافرين، بذريعة القات المرتبط بجواز السفر اليمني، وكأن بقية التهم التي تُقذف نحونا بالباطل قبل الحق لا تكفي.

▪ لقد قدم أجدادنا اليمنيون العظام بلدهم بأنها أرض الحضارة والسعادة والخضرة والأساطير، فإذا بأعداد من بني جلدتنا يقدمون اليمن بأنه مجرد بلد القات، وبلد مجانين، يعمل الواحد منهم على دخول مطارات ترصد كاميرات أجهزتها الأمنية حتى مشاعر القلق.. وطالما أوقع القات أيادي أصحابه في الكلبشات.. لا فرق بين قات (أخضر ومطحون ويابس).

▪ وبالذمة.. ما هي ذنوب اليمنيين المسافرين حتى يتعرضوا لإجراءات تفتيش خاصة، بسبب موالعة الخارج، الذين يتفاخرون بعبط، على نحو: "الله ما أطعمه في الخارج".. أو: "والله أنني أخزّن لوما أبقى واو".. أو: "رهيب هو طعم القات الخارج من الثلاجة داخل القصدير"..

والبعض يبرر: "أيش تشتونا نفعل.. ندخل مراقص..
نسكر" ..

▪ "رَقْصُوكَ فِي جَهَنَّمَ الْحَمْرَاءُ!"

العشرات من المسجونين في عاصمة عربية واحدة اعتقلوا،
وبعضهم سافر أصلاً ليتعالج من القات وسموم القات وأدخنة القات..
لا، وقال لك، بعضهم يخرج إلى الشارع مخزن، وعامل كماسة كورونا
حتى يخفي (الضراجم).

- ولقد استمعت إلى أحدهم وهو يقول: "التخزينة في الخارج
تجنن، وتخليك تسرّج حتى والكهرباء طافي" .. ولم أفهم كيف
يمكن أن تطفئ عليه الكهرباء وهو في دبي أو كولا لمبور؟
- يا بني آدم.. افرض أنك بعت نفسك للجن.. ولا يهتمك
السجن.. ما ذنب مواطنيك ليتعرضوا للتعطيل إذا سافروا؟
كفاية عليهم متاعب ومخاطر الطريق والنقاط الأمنية، فتقوم
أنت بتحويلهم إلى متهمين في الخارج.

■ يا حبيبي حتى لا أقول: يا جنّي.. خلاص إفهم..

القات خارج اليمن.. ممنوع.. محرّم ومجرّم.. إرحم نفسك.. واحترم المسافرين من أبناء بلدك.. وتوقف عن قراراتك المجنونة، التي تجعل القات طريقك إلى الوقوع في الكلبشات!"^(١).

* * *

○ القات في اليمن: عشبة النشوة والخراب الاقتصادي:

"لا بديل عن القات في اليمن، ولا شيء يساوي تناوله، مبررهم: النشوة، وانتعاش الفلاحة، وزيادة الوعي السياسي، والفراغ.

ويبدأ مجموعة من الشباب في اليمن اليوم حملة ضد القات، بسبب المساحات التي بات يحتلها في حياتهم اليومية، ويحاولون توعية الناس بخطورة الظاهرة التي طالت الجميع بمن فيهم الأطفال.

■ جلسة تخزين:

ويقول أنور العنسي، الصحفي في (بي بي سي)، والمختص بالشؤون اليمنية: "إن القات ليس مخدراً من الناحية العلمية، ولكنه

(١) المصدر: قناة مكافحة القات.

منبه، يمصغ ويخزن في الفم، ومن هنا جاءت كلمة: (تخزين)، لوصف جلسات استهلاك القات، فإذا دعاك أحدهم (للتخزين)، فاعلم أنها استضافة لأكثر جلسة شعبية في اليمن.

عند تناوله يشعر القات بالنشوة، وبطاقة هائلة مفيدة جداً للتركيز، لذلك يستهلكه الطلاب وأصحاب المهن الدقيقة، مثل: حرفيي الحلبي، والبنائين الذين يعملون في أماكن مرتفعة، وهو بذات القدر منشط جنسي، حيث يشحذ كل الطاقة التي في الجسم، ويستمر مفعوله خلال فترة الاستهلاك، ثم تخور قوى المستهلك بعد ذلك، ويشعر بحالة هبوط كبيرة.

وفي مرحلة الهبوط، يفقد المستهلك قدرته الجنسية، ما تسبب في تفكك أسر بكاملها، نتيجة الشكوى المتكررة للزوجات، حتى نساء صوماليات، تظاهرن السنة الماضية في لندن، احتجاجاً على الآثار المدمرة للقات على صحة أزواجهن الجنسية، علماً أن القات مادة مستهلكة من قبل شعوب شرق أفريقيا".

■ مسألة معقدة:

إنها مسألة معقدة، يقول أنور العنسي، في شرحه لآثار القات على حياة اليميين، فقد: "تحول إلى مشكلة منذ أربعينيات القرن الماضي، بعد انتقاله من ظاهرة اجتماعية مناسبة مفيدة، تنتهي جلساته بالتطرق لمشاكل المواطنين المحلية وحلها، إلى جلسات طويلة غير منتجة".

فاستهلاك القات يأتي على حساب دخل الأسرة المتواضع، الذي لا يتجاوز متوسطه (٦) دولارات في اليوم، حسب العنسي. وبسبب زيادة الطلب عليه، بات يزرع في مساحات شاسعة، مستهلكاً كميات كبيرة من المياه الجوفية، خاصة في المناطق الجافة، وقد حذر البنك العالمي من تعرض صنعاؤها نفسها للجفاف في السنوات المقبلة، إذا ما استمر استهلاك المياه بهذا الشكل.

كما تتسبب المبيدات التي ترش على بعض أنواع القات، في إصابة حوالي (٢٠) ألف يمني بمختلف أنواع السرطانات، مثل سرطان الفم والبلعوم وغيرها..

ويقول العنسي: "إن للسلطة السياسية مسؤولية كبيرة في انتشار هذه الظاهرة؛ لأنها لم تحاول منعها، بل غضت الطرف عنها، لاعتبارات سياسية".

كما أن زيادة الطلب عليه، وضعف تكاليف إنتاجه، جعلت الفلاحين يستعيضون عن زراعة البن وأنواع العنب والفواكه التي يعرف بها اليمن، بزراعة القات الذي لا يتطلب غرسه وقطافه وتسويقه جهداً ولا الكثير من المال.

بالمقابل "سمح القات بإنشاء الثروة، فقد انتعشت الفلاحة في الريف، بفضل أموال أهل المدينة التي ينفقونها على القات، ما ساعد على تنميته". يقول العنسي.

كما أن جلساته الطويلة، التي يتم التطرق فيها لكل شيء، ساهمت في زيادة الوعي السياسي عند اليمنيين، ناهيك عن توثيق الروابط الاجتماعية.

▪ حتى بريطانيا!

ويقول الكاتب اليمني الشاب أبو بكر الشماحي، المقيم في لندن، إن: "التخزين هو النشاط الاجتماعي الرئيسي لأفراد الجالية اليمنية في برمنغهام، وغيرها من المدن البريطانية التي يقيم فيها اليمنيون، وهم يشترون النوع المستورد من الحبشة، باعتباره القات الوحيد المتوفر، رغم غلاء ثمنه وقلة جودته".

ويقول الشماحي: "إن بعض الناشطين الشباب في اليمن، كانوا يتوقعون أن تقوم الثورة بسبب منع القات، وكانوا يرددون من باب النكتة: (أوقفوا القات، ليشارك اليمنيون في الثورة)".

ولا يرى أن محاولات منع القات شيء واقعي، لكن يمكن تحديد بيعه في أيام معينة، أو منع استهلاكه في مناسبات محددة، حسب الشماحي، مثل حملة قريبة لمنع القات في الأعراس.

وبالنسبة إليه، فإن مجرد إعادة الأمر إلى ما كان عليه قبل سنوات، عندما كان القات يستهلك بين العصر والمغرب نجاح كبير.

فالقات "بات متجذراً في المجتمع اليمني، إلى درجة أنك إذا أردت اللقاء بسياسي يمني، ففي جلسة قات أو تخزين".

■ متنفس وجيد:

أروى محمد، شابة يمنية من مستهلكات القات، تتساءل عن البديل الذي يمكن لكل من يطالب بوقف القات أن يقدمه.

التعليق على الصورة، يضعف القات الشهية ويراه البعض حلاً لمشكلة الغذاء وتعزز مزاياه الاجتماعية من مكانته بين اليمنيين.

وقول أروى: "لا شيء، لا يمكن لأحد أن يقدم بديلاً، فأنا أتعاطى القات؛ لأن اليمن بلد مغلق، ليس فيه متنفس آخر، ولا حتى قاعة سينما، إنه لحظات السعادة الوحيدة التي تعيشها المرأة اليمنية لنفسها، الحياة دونه ملل".

وشرحت أن: "القات ليس فقط العشبة التي تمضغها وتخزنها داخل الفم، ولكنه كل الطقوس المصاحبة له، الأكلات والأغاني والنقاشات..". موجهة لنا دعوة (للتخزين).

تشعر أروى بالنشوة عندما تتناول القات، "إنه يعطيني نشاطاً غير عادي، وقدرة على الكلام لا أملكها بعيداً عنه، لا يمكنني الاستعاضة عنه داخل اليمن، في البداية يبدو طعمه المر غريباً، لكن سرعان ما تعودت عليه، مشكلتي الوحيدة معه، أنه يحرمي من النوم، ربما لقلة خبرتي به، فأنواع القات كثيرة".

ويؤثر القات على الشهية، "لذلك كلنا نحيفون، بل إن كثيراً منا يرون فيه حلاً لمشكلة الغذاء؛ لأنه يساعد على توفير الوجبات". تقول أروى مضيفة: "أشعر بالذنب كلما استهلكته، فأنا على وعي بكل آثاره، لكن اليمنيين في حاجة إلى انفتاح، حتى يتخلوا عنه تدريجياً، أما في هذه الظروف، فكل دعوة لمنعه فاشلة"^(١).

* * *

○ من مشاكل القات في اليمن:

وعلى كل، معظم مشاكل اليمن سببها القات، منها على سبيل المثال لا

الحصر:

(١) الفساد المالي والإداري تحت مسمى: (حق القات).

(١) المصدر: قناة (BBC) البريطانية.

- (٢) فساد الأخلاق والقيم المجتمعية.
- (٣) تفكك الأسرة.
- (٤) معظم بل كل الحالات النفسية في المجتمع بسبب تعاطي القات.
- (٥) معظم الأمراض الخبيثة سببها تعاطي القات.
- (٦) وصمة اليمنيين بالتخلف والنظرة الدونية سببها تعاطي القات.
- (٧) معظم حوادث السير بسبب السيارات الناقلة للقات.
- (٨) دخول أخطر المبيدات فتكاً بالبشر من أجل القات.
- (٩) تلوث التربة وعدم صلاحيتها للزراعة بسبب المبيدات المستخدمة للقات.
- (١٠) النقص الشديد وغور المياه الجوفية بسبب نهم القات للمياه باستمرار على مدار العام.
- (١١) سبب أزمة الديزل من قبل المزارعين وهلعهم عليه من أجل عيون القات.
- (١٢) زحمة الشوارع وقت الذروة في الظهيرة بسبب أسواق القات.

- (١٣) تسرب الفتيات والأولاد في الريف من التعليم من أجل العناية وقطف القات صباحاً.
- (١٤) تلوث البيئة بالأكياس البلاستيكية جعلها بسبب استخدامها للقات.
- (١٥) معظم الخطط والمشاريع تبنى في وقت التخزين، لذا أغلبها فاشلة لعلاقتها بالقات.
- (١٦) سوء التغذية للأمهات والأطفال بسبب الإنفاق على القات.
- (١٧) معظم المشاكل والحروب القبلية بسبب زراعة القات.
- (١٨) يضيع اليمنيون ملايين ساعات العمل لأجل عيون القات.
- (١٩) تدهور وضع الاقتصاد في اليمن بسبب استيراد محاصيل وفواكه كانت موجودة واستبدالها بالقات.



الفصل الثالث

الحلول الناجحة

• أسباب تعاطي القات:

إن الإدمان على القات، يتأثر بعوامل عديدة، كوقت الفراغ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية، ونتيجة لعوامل أخرى مساعدة، وفيما يلي توضيح لأسباب الإدمان على القات:

- (١) في الجانب الديني، عدم قناعة المتعاطي بأنه مخدر، حيث لم يجد ذلك فيه، إضافة إلى تضارب فتاوى علماء الدين بين محلل ومحرم تعاطيه.
- (٢) انعدام الوعي الكافي بأضرار القات، كما أن لثقافة الفرد ومستواه التعليمي دوراً في هذا الجانب، فكلما زادت درجة الوعي، انخفضت نسبة المتعاطين، والعكس صحيح.
- (٣) الاعتقاد الخاطئ أن تعاطي القات مرة أو مرتين أسبوعياً أو خلال المناسبات والإجازات، لا يضر المتعاطي، ولا يؤدي إلى الإدمان.
- (٤) وجود شخص في محيط الأسرة يتعاطى القات، سواء كان رب الأسرة، أو أحد أفرادها، يؤثر على بقية الأفراد؛ لأنه يشكل قدوة لهم.
- (٥) المشاكل الأسرية، وعدم تفهم رب الأسرة لمرحلة المراهقة لدى الأبناء، وما يطرأ عليهم من تغيرات، قد تجرهم لتعاطي القات.

(٦) إهمال رب الأسرة للأبناء، وعدم سؤاله عنهم، وعن أصدقائهم، وعن سبب غيابهم المستمر عن المنزل، وعدم ملاحظاته لتغير سلوكياتهم وتصرفاتهم، يكون سبباً في تماديهم في التعاطي، والوصول لمرحلة الإدمان.

(٧) عدم استغلال أوقات الفراغ فيما ينفع، وقد قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة *** مفسدة للمرء أي مفسدة

(الجدة: المال).

(٨) عدم التفكير في استثمار الأموال وأوقات الفراغ في مشاريع استثمارية مجدية.

(٩) تأثير الأصدقاء على الفرد، بحكم مخالطته المستمرة لهم، وحضوره إلى مجالس تعاطي القات معهم، وما يتعرض له خلالها من دعوات للتعاطي، قد لا يمانع في رفضها بسبب الخجل، أو رغبة في التجربة.

(١٠) ما يسمعه المرء من معلومات غير صحيحة عن القات وآثاره، كقول بعضهم: (دواء للسكر، أو مقوٍ جنسي، أو علاج للكآبة والحزن، وإدخال الفرح والسرور على النفس). مما يدفعه للتجربة، ويجعله ضحية لهذه الآفة.

• التخلص من القات؟

○ خطوات للتخلص من القات:

لخص الدكتور إسماعيل النجار، ما يجب اتخاذه للتخلص من زراعة القات، والحد من ظاهرة تعاطيه، بعدة نقاط، حيث قال: "إن التخلص من شجرة القات، يستدعي خطة وطنية ذات بعد استراتيجي للتخلص من القات، هذه الخطة تعتمد على الأسس التالية:

- (١) إيجاد وعي وطني بخطورة القات الكارثية، اقتصادياً واجتماعياً وصحياً وبيئياً.
- (٢) إيقاف التوسع في زراعة القات، ووضع آلية واقعية للمراقبة.
- (٣) وضع خطة تنموية زراعية شاملة، تقوم على أساس تأمين الأمن الغذائي، واعتماد سياسة الحوافز والمساعدات للمزارعين، وتشجيع إحلال زراعة المحاصيل الزراعية بدلاً عن القات، ضمن جدول زمني واقعي.
- (٤) إيجاد وسائل للترويج، وسد الفراغ عن جلسات القات.
- (٥) فرض ضرائب عالية على القات.
- (٦) التقليل من أيام وأوقات تعاطي القات.

- (٧) التقليل من أماكن ومحلات بيع القات.
- (٨) منع حفر الآبار لغرض استخدامه في ري القات.
- (٩) وضع خطة لتنظيم استيراد المبيدات، ووقف استخدامها في رش القات، ومراقبة استخدامها.
- (١٠) تعاون جميع مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، لتطبيق الخطة الشاملة تدريجياً، وحسب الأولويات، لإيقاف التوسع في زراعة القات، ومعالجة الآثار التي تركها استخدامه، واستبداله بالمحاصيل الزراعية^(١).

* * *

○ كيف نتخلص من القات؟

هناك أمور أخرى ستساعد الفرد عن الإقلاع عن تعاطي القات، فالكثير من متعاطي القات، يحاولون الإقلاع عن تعاطيه، ولكنهم لا يجدون الوسيلة الصحيحة التي باتباعها يمكنهم التخلص من هذه العادة السيئة، وفيما يلي بعض الأمور التي إذا اتبعها المتعاطي للقات ستساعده في التخلص من إدمانه:

(١) النجار، أسماعيل محمد، ظاهرة القات والصحة العامة والقموية، ص ٢٢.

- (١) إخلاص النية لله، وأن يكون القصد من الإقلاع عن تخزين القات هو التقرب إلى الله عز وجل، بترك ما حَرَّمَ.
- (٢) صدق العزيمة، فإن من تسلح بها تمكن من اجتياز المصاعب.
- (٣) الاستعانة بالأطباء وأهل العلم الثقات في قطع هذه العادة السيئة، والعمل بإرشاداتهم.
- (٤) أن يعلن أنه عزم على ترك القات، وأنه من المستحيل أن يعود إليه مرة أخرى.
- (٥) أن يترك تلك الأماكن التي كان يتعاطى فيها القات، وإن اضطر لحضورها، أعلن رغبته هذه للجميع، تجنباً للإحراج.
- (٦) الصبر وعدم الانزعاج من الضيق والآلام التي سيشعر بها في بداية تركه للقات، وعليه أن يستعين عليها بالله تعالى.
- (٧) أن يتذكر أنه ليس في القات حل للمشاكل، ولا تخفيف لآلام، كما يزعم بعض الناس، بل إنه يزيد المشاكل والمهموم، وهو مرض وليس علاجاً.

- (٨) شغل وقت الفراغ بما هو مفيد، من مزاولة الرياضة، والترفيه المباح، والخروج للنزهة مع الأهل والأصدقاء، والقيام بصلة الأرحام، وبعض الواجبات التي يفضلها.
- (٩) التفكير باستمرار في بناء مستقبل زاهر لك ولأبنائك، والتخطيط له يجعلك تتمتع عن عادة التعاطي.
- (١٠) مجالسة الأخيار والصالحين، والبعيد عن هذه الآفة من الزملاء والمعاريف.
- (١١) عادة النظر في ما ينفقه المتعاطي من مال ووقت على حساب نفسه وأسرته، والتركيز على بذله في تعليم أبنائه، وتحسين مستواهم المعيشي (الصحي والسكني)، فالمرء مسؤول عن ماله من أين أكتسبه، وفيم أنفقه، وكذلك عن شبابه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وتقيداً بقوله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».



• مقترحات وحلول لمعالجة ظاهرة القات والحد من زراعته:

○ مقترحات وتصورات لمعالجة ظاهرة القات:

خلص الدكتور إسماعيل محرم في خلاصة كتابه: (ظاهرة القات في اليمن)، ما يتعلق بالتخلص من هذه الظاهرة، وخلص إلى مقترحات وتصورات مستقبلية (على المدى القريب، وعلى المدى البعيد) لمعالجة ظاهرة القات، والحد من آثارها السلبية، حيث قال: "وللقات تأثيرات صحية واجتماعية واقتصادية كبيرة. وبالرغم من وجود عدد من الدراسات التي تتناول هذه الموضوعات، إلا أنها لا زالت محدودة وقاصرة، ولم تتطرق إلى الجوانب الهامة، مثل: تأثير الكيماويات المستخدمة بشكل واسع على صحة الإنسان، وتحديد الاحتياجات المائية لزراعة القات بصورة دقيقة، وما هي إمكانية الاستفادة من بعض العناصر التي يحتويها. كما أن الاحصائيات الواقعية والدقيقة عن المساحة، وحجم الإنتاج والتسويق، ومناطق الزراعة، والاحتياجات المائية، وغيرها من البيانات، لا بد من توفرها لرسم صورة واضحة عن هذه الظاهرة وحجمها، وبالتالي التعامل معها من خلال استراتيجية وطنية للتعامل مع القات.

لهذه الأسباب وغيرها، يمكن الجزم بأن الوقت قد حان للتعامل مع القات كظاهرة بصورة موضوعية، من خلال إنشاء مركز وطني

متخصص، من أجل وضع الحلول المناسبة للتعامل معه، والحد من آثاره السلبية، والتخلص منها.

▪ التصورات المستقبلية:

من الأهمية بمكان الاعتراف بأن القات يعد أهم الظواهر الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا، ويجب بذل قصارى الجهود الحكومية والشعبية من أجل التخلص من هذا الوباء، ويقترح لذلك أن يكون هناك مرحلتين لدراسة ومعالجة هذه الظاهرة، على أن يناط مثل هذا العمل بمركز وطني متخصص للقات.

▪ على المدى القريب:

- (١) تكوين قاعدة بيانات حول القات.
- (٢) تعزيز دور وحدة بحوث القات في هيئة البحوث والإرشاد الزراعي، لتكون نواة المركز الوطني لبحوث القات.
- (٣) مسح شامل للمساحات المزروعة بالقات، وتحديد الأنواع المزروعة منه، وانتشاره الجغرافي.
- (٤) إدخال محصول القات ضمن المسوحات والإحصائيات التي تقوم بها إدارة الإحصاء الزراعي.

- (٥) تحديد الاحتياجات المائية للقات في المناطق المختلفة، وأثره في استنزاف الموارد المائية للبلاد.
- (٦) تحديد أنواع الترب الصالحة لزراعته، ومدى منافسته للمحاصيل الغذائية.
- (٧) حصر للآفات التي تهاجمه وعوائلها المختلفة.
- (٨) حصر الكيماويات التي تستخدم في زراعة وانتاج القات وتسويقه، ومواعيد استخدامها، وكيفية التقليل من آثارها على صحة الإنسان والبيئة.
- (٩) دراسة العمليات الزراعية المختلفة للقات.
- (١٠) دراسة إمكانية الاستفادة من مخلفات القات لصناعة الورق أو الصناعات الأخرى.
- (١١) دراسة مستمرة لأسعار القات وتسويقه.

▪ على المدى البعيد:

- (١) وضع سياسة واستراتيجية واضحة حول التعامل مع ظاهرة القات.

- (٢) تجديد أجهزة الإعلام الجماهيرية والإرشاد الزراعي لتنفيذ تلك السياسة والاستراتيجية الوطنية.
- (٣) فرض الرسوم والضرائب المختلفة على الزراعة والاتجار بالقات.
- (٤) تشجيع زراعة المحاصيل المنافسة، وخاصة تلك المحاصيل التي تزرع في نفس المنطقة، وعلى نفس التربة، من خلال الدعم الرسمي له.
- (٥) إيجاد وسائل الترفيه البديلة للناس لقضاء وقت فراغهم.
- (٦) عدم تشجيع صرف الأموال العامة لشراء القات نظير إنجاز أعمال معينة.
- (٧) دراسة إمكانية الاستفادة من المركبات الكيميائية التي يحتويها القات في الأغراض المختلفة.
- (٨) دراسة السوق الدولية المتنامية للقات، والاستفادة منها للتصدير أو الاستيراد، في سبيل الحد من آثار هذه السلعة محلياً، ومعالجتها كظاهرة، وفقاً لمضامين السياسة والاستراتيجية الوطنية.

٩ دراسة الآثار الاقتصادية والاجتماعية والصحية لظاهرة القات على السكان^(١).

* * *

○ حلول وسياسات للحد من تطوير زراعة القات:

ظاهرة القات ظاهرة سيئة، دخيلة على المجتمع اليمني (مقارنة بعمر الحضارة اليمنية من قديم الأزل)، أثرت على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الجوانب.

ومن هذا المنطلق، ينبغي أن تولى هذه الظاهرة اهتماماً بالغاً من فئات المجتمع المختلفة، ومن مؤسسات علمية، ليس فقط التشخيص لهذه الظاهرة، ولكن أيضاً لتناول أساليب العلاج العلمية والواقعية والمتدرجة، والتي من خلالها تستطيع أن تقلل من حدتها، إذا لم تستطع التغلب عليها، وعلى الدولة أن تعمل على سرعة وضع الضوابط والتشريعات لزراعة القات واستهلاكه، والتي من أهمها:

- ١) إيجاد البدائل الزراعية المناسبة لشجرة القات، واستبدال شجرة القات بمحاصيل أكثر جدوى اقتصادية، كالبن.

(١) محرم، أسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، ص: ٢٩ - ٣١.

- (٢) دعم الجمعيات والمؤسسات الداعية إلى الحد من ظاهرة تعاطي القات.
- (٣) إصدار قانون ينظم استخدام الأراضي الزراعية، ويمنع التوسع في زراعة القات في الأراضي الزراعية.
- (٤) تقديم الحوافز المادية والمعنوية وبشكل مجاني في البداية، لاستقطاب المزارعين، وتشجيعهم على استبدال القات بالمحاصيل الغذائية والنقدية الأخرى.
- (٥) دعم المنتجات الزراعية المحلية، من الحبوب والخضار والفواكه، كبديل لزراعة القات.
- (٦) إصدار تشريعات صارمة بحق بائعي القات، من خلال رفع نسبة الضرائب على القات وأسواقه المختلفة، ومراكز بيعه.
- (٧) أن تعمل وزارة الزراعة والري على الاسهام في توعية المزارعين عبر المراكز الإرشادية الزراعية، وكذا الإشراف على دخول المبيدات التي تستخدم للقات، والحد منها، بالتعاون مع شرائح المجتمع المختلفة، ومؤسسات الدولة، والمنظمات والجمعيات الداعمة، للإقلاع عن ممارسة تعاطي القات، وتكثيف الرقابة الصارمة على استيراد المبيدات الزراعية واستخدامها.

- (٨) إيجاد البدائل المهنية والترفيهية اللازمة لقضاء أوقات الفراغ، مثل الحدايق العامة، والمردة بالمنزهات والألعاب، والمسارح والمعارض والمكتبات، وغيرها من وسائل الترفيه، والتي ستسهم إلى حد كبير في الحد من هذه الظاهرة.
- (٩) أن تقوم وزارة الصحة ممثلة بالمركز الوطني للتثقيف الصحي، إلى عمل حملات إعلامية شاملة ومستمرة، لإيضاح مساوئ القات، والآفات التي تترتب عليه، صحياً واجتماعياً واقتصادياً، وإبراز الإحصانات والوفيات التي يسببها القات، وجعل هذه الظاهرة من أولويات التثقيف الصحي للمركز الوطني للتثقيف الصحي.
- (١٠) إيجاد البنى المؤسسية التي تقوم بتسويق المنتجات المحلية، داخلياً وخارجياً، وإيجاد شبكة تسويق حديثة في مختلف مناطق الانتاج والاستهلاك، لنقل وخرن وتوزيع المنتجات الزراعية، والتحكم في عملية التسويق، لضمان أسعار مجدية للمزارعين، لتشجيعهم على الاستمرار في الزراعة، وكذا ضمان أرباح معقولة لتجار الفواكه والخضار، بهدف تشجيع تجار القات للتحويل للعمل في تجارة الخضار والفواكه.

(١١) حث المتعلمين والمثقفين بمختلف مستوياتهم، باعتبارهم أكثر الناس إدراكاً بمضار القات، وأكثرهم استهلاكاً له، على توعية المجتمع للحد من استهلاك القات^(١).



(١) المغلس، نور الدين مفضل؛ المغلس، محمد أمين، بحث: التوقعات المستقبلية للمساحات المزروعة لشجرة القات وآثارها الاقتصادية على زراعة بقية المحاصيل، ص: ١٣ - ١٥.

• ومن المعالجات اللازمة لظاهرة تعاطي القات:

(إعداد برنامج إجرائي على المستوى القومي):

١. الأهداف:

يجب أن تتضمن الأهداف الرئيسية لأي برنامج وطني شامل على ما يلي:

- أ. وقاية أجيال الشباب ضد المخاطرة بتعاطي القات.
- ب. تعديل سلوك الجماهير لاحتواء مشكلة القات، والتغلب على الحاجة إليه.

٢. المدخل:

وفي ضوء تقييد جوانب مشكلة القات وتعدد وجوهها، فإن نجاح برنامج قومي يتطلب مشاركة الجماهير وتضافر قومي على المستويات، ولا بد من تناول المشكلة بنظم متعددة، ومن أوجه مختلفة، ولا بد من تضافر جهود الوزارات المختلفة والتنظيمات السياسية والمعاهد الاجتماعية ذات الصلة بالموضوع، لكي نضمن التنفيذ السليم والمؤثر والفعال، ويمكن للأماكن الدينية والتعليمية أن تلعب دوراً نشطاً في المتابعة، مع الاقتناع وتحويل الاتجاه العام عن تعاطي القات.

○ دور الأماكن الدينية:

يعتبر الدين مانعاً قوياً ضد تعاطي المخدرات، بما في ذلك القات، نظراً لتأثيراتها السيئة على السلوك، وتفكك أواصر الأسرة. ويشكل القات عاملاً ضاراً، مما يحتم اعتبار تعاطيه مخالفاً للدين، لذا يجب تنظيم برامج خاصة عن طريق الأماكن الدينية على مستوى الدولة، مع الاستفادة بصفة خاصة من الصلوات اليومية ويوم الجمعة في المساجد.

* * *

○ التنمية الاجتماعية والاقتصادية:

يجب أن ندرك أن تعاطي القات يقترن تماماً بضعف نمو الموارد الطبيعية، مثال ذلك مصادر الماء والزراعة، وهي عناصر أساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، ولا بد أذن من توجيه الاهتمام اللازم إليها، في إطار تنظيم حملة فعالة على المستوى القومي ضد تعاطي القات.

* * *

○ تشكيل مجلس وطني:

من الجوانب الهامة أيضاً لمعالجة تعاطي القات، هي: تشكيل مجلس وطني لمكافحة تعاطي القات. ويجب أن يضم هذا المجلس أعضاء من جميع الهيئات الرسمية المعنية، وكذا ممثلين عن المنظمات الاجتماعية والتطوعية، وتكون المهام الأساسية لهذا المجلس هي:

- أ. أن ينسق بين التخطيط القومي والتنظيم وتنفيذ البرنامج.
 - ب. أن يتولى المراقبة المنظمة والتقييم الدوري.
 - ج. تسهيل تنفيذ السياسة القومية والجوانب القانونية.
 - د. الإسراع في تنمية مصادر الدخل القومي لمكافحة تعاطي القات.
 - هـ. تجنيد الدعم الدولي للتعامل مع مشكلة القات.
- ومن الجوانب الهامة أيضاً لمعالجة تعاطي القات، هو إعداد برنامج تنفيذي على المستوى الدولي، وعلى النحو الآتي:

(١) التحكم في تجارة القات:

إن إتاحة تداول (المخدر) عامل أساسي في دفع عملية تعاطيه، ويكون من الصعوبة بمكان تخليص الشخص المدمن (للمخدر) من

عادته، إذا كانت المادة المخدرة سهلة المنال، وبذا فإنه في حالة القات يكون اتخاذ فعل حازم على المستوى الدولي، يمكن ناجحاً في الموقف والحد من تواجد المادة.

(٢) نشر المعلومات العلمية عن القات:

إحدى الخطوات الأولى التي يجب اتخاذها، هي النشر الواسع للمعلومات العلمية والخبرة الخاصة بمشكلة القات. ولهذا الغرض، يجب عقد جلسات علمية، ويجب أن تتمخض عن هذه الاجتماعات نتائج تؤدي إلى شدة فعالية المجتمع الدولي، ويجب توعية المجتمع الدولي عن طريق جميع الوسائل الممكنة بالعواقب الخطيرة لتعاطي القات، حتى يمكن الحصول على أقوى دعم ممكن، مع تنظيم كل مساندة ممكنة عن طريق الدول الأخرى.

(٣) الدعم الفني عن طريق منظمات الأمم المتحدة:

إن تنمية برنامج شامل لمكافحة تعاطي القات - كما أسلفنا -، تتطلب أن تقدم المنظمات الدولية، مثل: (اليونسكو)، و (الفاو)، و (اليونيسيف)، و (منظمة الصحة العالمية)، دعمها الفني على المستويين القومي والدولي، وإذا صدقت نية الدولة لكبح جماح القات، والقضاء

على زراعته وتعاطيه، لا بد من سن التشريع المناسب، بحيث تعتمد الدولة على نفسها، ودون الاستعانة بالهيئة الصحية العالمية في بادئ الأمر، ومن المهم بصفة خاصة، أن ندرك أن هذا النوع من القرار، لا بد وأن يتم عن طريق الحكومات نفسها: على أسس أخلاقية وليس طبية فقط، في حالة ما إذا كانت الدولة مستعدة وقادرة مالياً، ليس فقط بسن القانون، ولكن أيضاً بوضعه موضع التنفيذ.

ومن جهة أخرى، فإن الدول المنتجة / المستهلكة، مثل: اليمن والحبشة؛ حيث التقليد عتيق ومتغلغل بعمق في أغلب المناطق، وحيث لا يوجد بالفعل أي احتمال للتأثير، وعمل ضغوط قانونية، فإنها تمثل مشكلة من نمط مختلف جداً، وهنا يتطلب الأمر تناول المشكلة تناولاً واسعاً، وعلى المدى الطويل .

كما نوصي كخطوة أولى، إجراء مسح مركز للقات، وتقويم للمشكلة، نحو حل نهائي بعيد المدى، من:

✓ الزاوية النباتية.

✓ الزاوية الكيميائية.

✓ الزاوية الدوائية.

✓ الزاوية الإكلينيكية.

ومثل هذا المسح، لا بد وأن يأخذ في الاعتبار: الحصاد، والتسويق، وخطوات تحديد المرتبة.

ولا بد من التركيز على البروتوبلازما الجرثومية من النواحي المختلفة، والأنماط البيئية، وطريقة وترتيب الاستخدام.

وإذا اتضح أن هنالك كما نتوقع مدى واسعاً من الأنماط البيئية كيميائياً ودوائياً، فسوف يصبح من الممكن إجراء برنامج بارع لإبدال (النمط البيئي بالنمط الدوائي)، وفي هذا الإجراء، يتم بصفة عامة، العمل على أن نستبعد من الجماعة الأفراد الأقوى والأعنف، والتي تحتوي على مراتب عالية، وفي النهاية تكون قد استبدلت تبعاً بأنماط بيئية دوائية أضعف تأثيراً - أو بديل لمجرد إرضاء المستهلك. ومن المحتمل أن يكون مثل هذا البرنامج مؤثراً، إذا كان هناك تعاون من الجميع، ولو كان هناك برنامج توعية شامل ومتزامن.

إجراء برنامج للإبدال النهائي للمحصول مقترناً بنظام دعم أسعار المحاصيل الجديدة مع تخطيط متزامن.

عمل كل ما أمكن لرفع المستوى الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع، وبينما لا ندعي أن هذه الاقتراحات تقدم حلاً عاجلاً، فإنها من وجهة نظرنا واقعية، أو على الأقل لها قوة دفع في اتجاه النجاح.

ونعتبر هذا أجدى من المرحلة التي لا بُدَّ وأن تحدث، إذا حاولنا أن نبحث عن دوافع طبية فقط لتحريم القات، وحيث إن الإفراط في تعاطي القات يقتصر على الشخص المتعاطي، فإن القضية تصبح أخلاقية.



• ومن المعالجات لمشكلة تعاطي القات:

(عن طريق الشكل الفني - الدراما):

- "إن التربية الصحية وإن تشابحت أهدافها، تختلف في وسائلها من بيئة إلى أخرى، وتلك حقيقة لا جدال فيها، على الرغم من أننا نتخذ مختلف الأساليب الإرشادية الكثيرة في المجتمع الواحد، من ندوات وأفلام ومحاضرات ومواجهة... إلخ. وذلك نظراً لتباين المستويات الثقافية والعقائدية والاقتصادية والصحية في بيئة ما من البيئات، أو في قطر من الأقطار، وما يصلح للمدينة قد لا يصلح للقرية، وهناك وسائل أيضاً يمكن استخدامها في كل البيئات، وهذه نقطة أساسية أولى.
- النقطة الثانية: هي أن نوعية المشكلة الصحية التي نتعرض لمعالجتها، وهي مشكلة تعاطي القات، قد تفرض لوناً معيناً من التوعية، أو أسلوباً خاصاً من أساليب الإقناع والتأثير، ولا بد أن نأخذ ذلك في الاعتبار، إذا أردنا أن نبدأ البداية الصحيحة، ونبلغ الهدف المنشود.

- النقطة الثالثة: ونحن في مجال التربية الصحية - تتعلق بالبدائل؛ لأن تعلق الناس بأمر من الأمور، واعتمادهم عليه نفسياً واجتماعياً واقتصادياً، ثم قناعاتهم الخاصة به - مهما كانت خاطئة -، تحتاج منا لما يملأ الفراغ، ويسد النقص، حتى لا نترك ثغرة يتسلل منها الفشل والإحباط والسلبية.
- والنقطة الرابعة: تتعلق بأساليب العرض التقليدية، والأساليب المستحدثة، ولم يعد من اللائق في مجتمع نام، أن نستخدم التعبير المباشر، والمنهج الوعظي المجرد في قضايا حساسة، كقضية القات والمخدرات والمنشطات وغيرها، فقد ثبت بالدليل القاطع، أن هذه الطريقة أقل تأثيراً وأدنى فائدة، وخاصة إذا علمنا أن غالبية الناس يعرفون ما في القات والمخدرات وغيرها من آثار تدميرية، وخسائر اقتصادية وإنتاجية.

الصورة الفنية:

ومن المتعارف عليه أن الإعلام أو التوعية لها جانبان هاما:

أولاً: المضمون:

ثانياً: الشكل الفني أو الإطار الذي يحمل المضمون:

ونقصد بالمضمون: الفكرة أو القضية التي نريد معالجتها. وهذه القضية قد تكون علمية أو اجتماعية أو عاطفية أو عقائدية مثلاً، ونحن نريد إيصالها للمتلقي لهدف معين. لذا من الضروري أن تكون تلك القضية واضحة المعالم، معروفة الأسباب، جلية الدوافع، موضوعة بطريقة علمية مؤكدة، لا لبس فيها ولا غموض، بريئة من الخداع والتلفيق والتحيز، ومن ثم تكون واضحة في أذهان من يعرضونها، وأن يكونوا مقتنعين بها تمام الاقتناع.

والشكل الفني أو الإطار الفني: هو الوعاء الذي يحمل الفكرة، أو بمعنى آخر: هو طريقة العرض التي يعرض بها الموضوع على الناس، أفراداً وجماعات. والشكل الفني في الواقع، هو محل الإقناع أو الرفض، وهو مضمار النجاح أو الفشل، وهو أولاً وأخيراً المجال الحيوي الحساس، الذي يجب أن يهتم به العاملون في حقل التوعية الصحية، ومن ثم نستطيع أن نقول: إن هذه العملية الحيوية - عملية الشكل الفني -، أصبحت بحاجة إلى خبرات متنوعة، وليس إلى خبرة صحية فقط، فهي تحتاج إلى المخرج والموسيقي، وكاتب النص والسيناريست، والممثل والمصور وغيرهم. إنه فريق كامل مدعم بالخبرات الضرورية الأخرى، بالإضافة إلى العلمية والنفسية والتربوية،

ولنضرب لذلك مثلاً: مشكلة القات، هذه المشكلة كما تعلمون، مشكلة صحية اجتماعية نفسية، ولا بد أن تعالج في ضوء هذا المفهوم الواسع. وفي رأيي، أن أنجح وسيلة لذلك هي الدراما؛ لأن التمثيلية، سواء كانت في الراديو أو التلفزيون، أو على شاشة السينما، أو خشبة المسرح، تستطيع بقواعدها المعروفة، أن تعرض لقضية بأبعادها المختلفة، بأسلوب شائق، وشخصيات متنوعة، ومواقف مثيرة، وعقدة جذابة، وحوار حي، وأحداث متلاحقة. وهذا الشكل الفني المؤثر (الدرامي)، يمضي في اتجاهين:

أولاً: يخاطب الوجدان.

ثانياً: يخاطب العقل.

مما لا شك فيه، أن تشكيل الوجدان والعقل، هو المؤثر الأكبر في العادات والتقاليد، والمفاهيم والتغير الفردي والاجتماعي، وهذا الأسلوب الفني في الأداء وفي الإعلام، يلعب دوراً كبيراً بارزاً في حياتنا المعاصرة، ولذلك استغله الساسة والحكام، وأصحاب الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والسياسية والروحية، ومن ثم حدثت تحولات جماهيرية في أوساط الشباب خاصة؟ أدت إلى خلق صور وعلاقات اجتماعية جديدة، وإلى تغيرات نفسية وفكرية، لا تعد ولا تحصى.

هذه النظرة، تنطبق أكثر ما تنطبق على المشاكل الصحية، التي لها أبعاداً اجتماعية واقتصادية ونفسية، كمشكلة تعاطي القات. ونحن إذا نظرنا إلى التعريف الذي وضعته منظمة الصحة العالمية عن الصحة، لوجدنا أن ذلك التعريف يؤكد أن الصحة ليست في السلامة البدنية وحدها، ولكنها تشمل الصحة النفسية أو العقلية والاجتماعية، وهو مفهوم واسع وصحيح، نراه في أمراض كثيرة، كمرض الدرن، وسوء التغذية، والأمراض المعدية، والعلل النفسية. فهذه وغيرها ليست أمراضاً محصورة في فرد، ولا يعتمد على مجرد وصفة طبية أو عملية جراحية، ثم ينتهي الأمر، ولكنها قضية تتشعب إلى فروع كثيرة، منها ما هو عفوي، ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو عاطفي، أو اقتصادي أو اجتماعي. ومن هذا المنطلق نقول: إن الأساليب التقليدية المباشرة في التوعية، أو في التربية الصحية، لا يمكن أن تفي وحدها بالغرض المطلوب في موضوع كموضوع مكافحة القات، أو المخدرات عموماً، ومن ثم فإن علينا أن نجد في البحث عن أساليب مستحدثة في التوعية الصحية والإعلام الصحي، نستخدم فيها مقدرة الفن في التأثير، ونستخدم أيضاً منجزات التكنولوجيا في

العرض والأداء؛ حيث إن طرق التوعية المباشرة القديمة قد أفلست، وأفقدتنا نسبة كبيرة من الجماهير المستهدفة في برامجنا وخططنا.

تلك هي القضية الأساسية الأولى التي أريد التأكيد عليها، وهي قضية (الشكل الفني)، أو الإطار الذي نقدم للناس فيه ما يصلح حالهم، ويغير من نمط قناعاتهم، ويدفعهم دفعاً لأن يتخذوا مواقف إيجابية، إزاء المشكلات الصعبة، التي تهدد سعادتهم وأمنهم، وتكاد تدمر كياناتهم الأسري والاجتماعي، وليس من نصيبي الآن أن أعدد أخطار القات، فقد سبق أن أشرت إليها، ولكن عملي الآن منصب على تسديد سهام القاتلة إلى قلب تلك المشاكل الصحية المزمنة، والتي تحتاج إلى جهد مركز، وخطوة واعية شاملة، وأسلوب مناسب قادر على تحقيق الهدف.

وهناك نقطة أخيرة تتعلق بنفس المفهوم الذي ذكرته، وهي مجتمعات القات، هذه المجتمعات كما تعلمون مجتمعات تنتسب إلى العالم النامي في معظمها؛ حيث لم تنزل الأمية متفشية، ووسائل الاتصال محدودة، والإمكانات الاقتصادية متدنية، ومستوى الخدمات منخفض، والتقنية متخلفة.

مثل هذه المجتمعات، تحتاج إلى أسلوب خاص في التوعية والتربية الصحية، والأسلوب الذي ذكرناه أكثر الأساليب مناسبة وتطابقاً مع أوضاعها، فضلاً عن أن ذلك الأسلوب نفسه يمكن أن يجد القبول والاهتمام في أي مجتمع من المجتمعات، حتى في الدول الصناعية أو المتقدمة، ومن المتعارف عليه، أن الحقائق العلمية المجردة تحظى بالفهم والإقناع لدى طبقة المثقفين أكثر من غيرها، أما الأميون وأنصاف المثقفين، فإنهم يجدون صعوبة في فهم المصطلحات العلمية والنظريات أو الحقائق، إما لارتفاع مستوى الأسلوب، أو لصعوبة هضم الفكرة، ومن ثم فإن أسلوب القصة بما فيها من بداية وعقدة، ونهاية حوار، وأحداث وتشويق، وموسيقى وغيرها، يبقى هو العامل المشترك الأعظم لكل جماهير الناس قاطبة دون استثناء، وذلك في رأيي هو الأسلوب الأمثل لجذب الناس إلينا، والقضاء على ظاهرة الهروب من البرامج الخاصة بالتوجيه والتوعية.

ولا يفوتني في هذا المجال، أن أذكر ما للدين من أثر هام في حياة الناس وسلوكهم في مجتمعات القات، ولهذا فإنه من الضروري أن يستفاد من ذلك، وإذا كانت الفتاوى التي تصدر في هذا المجال - مجال القات - قد تضاربت، فإن أمام علماء الدين مجالاً للاجتهاد،

معتمدين في ذلك على الأخطار التي أكدتها الأبحاث والدراسات، ومعتمدين أيضاً على القياس، وعلى حيوية الدين ومواكبته لمسيرة الحياة ومصالح البشر، وأنه لا ضرر ولا ضرار، واستخدام هذه النقطة في الإطار الفني المناسب، يمدنا بطاقة كبيرة في مجال الإقناع والتأثير^(١).



(١) نقلاً عن كتاب. القات، تأليف: د. أحمد المرزوقي، د. أحمد نبيل أبو خطوة.

• البدائل الاقتصادية لتعاطي القات:

"أشار (مؤتمر التمكين الاقتصادي وبدائل القات)، الذي انعقد بمدينة إسطنبول التركية في بداية عام ٢٠٢٥م، وحضره الكثير من الخبراء والمختصين إلى بدائل اقتصادية لتعاطي القات، حيث جاء في المؤتمر ما يلي:

في ظل التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه العديد من المجتمعات اليوم، أصبح التمكين الاقتصادي عاملاً حاسماً لتحقيق التنمية المستدامة. واحدة من هذه التحديات الكبيرة، هي تأثير تعاطي القات على اقتصاديات العديد من الدول والمجتمعات. لهذا السبب، جاء (مؤتمر التمكين الاقتصادي وبدائل القات)، كمنصة تجمع بين الخبراء والمختصين من مختلف المجالات، لطرح الحلول والبدائل التي يمكن أن تساهم في تحسين حياة الأفراد والمجتمعات التي تعاني من تبعات القات.

* * *

○ تأثير القات على الاقتصاد والمجتمع:

وأشار المؤتمر إلى أن القات يعتبر من أبرز التحديات التي تواجه العديد من المجتمعات، خاصة في الدول التي ينتشر فيها تعاطي هذه

المادة بشكل واسع. على الرغم من أن القات يُستهلك بشكل تقليدي في بعض المناطق، إلا أن تأثيراته الاقتصادية والاجتماعية السلبية باتت واضحة، ولا يمكن تجاهلها. يؤدي انتشار تعاطي القات إلى تقليل الإنتاجية الاقتصادية على مستوى الأفراد والمجتمع، حيث يُهدر الوقت والمال في استهلاك هذه المادة، بدلاً من توجيههما نحو الأنشطة المفيدة.

وفقاً للدراسات، يُنفق الأفراد الذين يتعاطون القات جزءاً كبيراً من دخلهم اليومي على شرائه، مما يؤدي إلى تقليص القدرة الشرائية للعائلات، وتأثير سلبي على رفاهية الأفراد. وفي الوقت نفسه، يسهم تعاطي القات في زيادة معدلات البطالة بين الشباب، حيث يُصبحون أقل اهتماماً بالبحث عن فرص عمل، أو تطوير مهاراتهم الشخصية بسبب الإدمان.

* * *

○ أهداف المؤتمر:

جاء (مؤتمر التمكين الاقتصادي وبدائل القات)، ليكون منصة تسعى إلى تحقيق عدد من الأهداف الاستراتيجية، التي تساهم في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومن أبرزها:

- نشر الوعي حول الأضرار الاقتصادي للقات: يسعى المؤتمر إلى تسليط الضوء على التأثيرات السلبية لتعاطي القات على الاقتصاد، من خلال تقديم إحصائيات ودراسات موثوقة، توضح كيف يستهلك القات الموارد والطاقات التي يمكن توجيهها نحو أنشطة إنتاجية.
- تقديم بدائل اقتصادية مستدامة: يُعتبر إيجاد بدائل مستدامة لتعاطي القات من أهم محاور المؤتمر، يمكن أن تكون هذه البدائل في شكل زراعات جديدة، مثل: زراعة البن، الفواكه، أو الخضروات، التي توفر مصادر دخل جديدة، وتقلل من الاعتماد على القات.
- تشجيع ريادة الأعمال: يسعى المؤتمر إلى تشجيع الشباب والمزارعين على تبني مشاريع صغيرة ومتوسطة، تساهم في تنويع مصادر دخلهم، من خلال دعم الابتكار والتكنولوجيا، يمكن هؤلاء الأفراد أن يُسهموا في خلق فرص عمل جديدة.
- تعزيز التعليم والتوعية: يدرك المؤتمر أن التغيير الدائم لا يأتي إلا من خلال التعليم والتوعية، لذلك، يُولي أهمية كبيرة لرفع مستوى الوعي بين المجتمعات المحلية حول مخاطر تعاطي

القات، بالإضافة إلى تقديم ورش عمل تدريبية تهدف إلى تطوير مهارات الأفراد، وتمكينهم من استغلال إمكانياتهم الاقتصادية.

* * *

○ البدائل الاقتصادية لتعاطي القات:

وخلال المؤتمر، تم استعراض عدد من الحلول البديلة التي يمكن أن تساعد في الحد من انتشار تعاطي القات وتعزيز التمكين الاقتصادي، من بين هذه الحلول:

- الزراعة البديلة: من أهم المقترحات التي تم مناقشتها، هي زراعة المحاصيل البديلة التي يمكن أن تحقق دخلاً مجزياً للمزارعين المحليين، على سبيل المثال، زراعة البن تعتبر من البدائل الواعدة التي لا توفر دخلاً أعلى فحسب، بل تساعد أيضاً في تنمية الصادرات الزراعية.
- التصنيع المحلي: تم اقتراح تعزيز الصناعات المحلية الصغيرة والمتوسطة التي تعتمد على المواد الخام المحلية، وتوفير فرص العمل للشباب، من خلال دعم التصنيع المحلي، يمكن

للمجتمعات أن تقلل من اعتمادها على الزراعة التقليدية المرتبطة بالقات، وتوجه اهتمامها نحو الصناعات الغذائية والمنتجات المحلية.

- تنمية المهارات: يعد تمكين الأفراد من خلال التدريب والتعليم من الأدوات الأساسية لتحسين حياتهم الاقتصادية، في هذا السياق، يسعى المؤتمر إلى توفير برامج تدريبية موجهة للشباب، لتطوير مهاراتهم في مجالات، مثل: التسويق الرقمي، التصميم، والابتكار.

* * *

○ دور الحكومات والمنظمات:

لا يمكن للمؤتمر تحقيق أهدافه دون دعم الحكومات والمنظمات المحلية والدولية. يجب على الحكومات أن تلعب دوراً رئيسياً في صياغة السياسات التي تدعم الاقتصاد المحلي، وتوفير بيئة مواتية لريادة الأعمال والاستثمارات. بالإضافة إلى ذلك، يجب على المنظمات غير الحكومية والمؤسسات الدولية، أن تعمل على تقديم الدعم المالي والتقني للمبادرات التي تسعى إلى التخلص من القات، وتعزيز البدائل الاقتصادية.

○ الخاتمة:

وفي الختام، اعتبر المؤتمر أن التمكين الاقتصادي وبدائل القات، خطوة هامة نحو تغيير الواقع الاقتصادي والاجتماعي في المجتمعات التي تعاني من تأثيرات القات، من خلال توجيه الجهود نحو تعزيز الوعي والتعليم، ودعم البدائل الاقتصادية المستدامة، يمكن للمجتمعات أن تتخلص من عبء القات، وتنتقل نحو مستقبل أفضل^(١).



(١) المصدر: مؤسسة يمن بلا قات.

• طرق مختلفة لعلاج إدمان القات:

○ من طرق علاج إدمان القات:

"يكنم علاج إدمان القات في الخطوات الآتية:

- التقييم والتشخيص، والتي تبدأ برؤية الطبيب للمريض، ومعرفة درجة الإدمان التي وصل إليها، وتأثير القات على جسد المتعاطي وعقله.
- سحب سموم القات من الجسم، والتي تعد من أهم المراحل العلاجية، نظراً لظهور بعض الأعراض الانسحابية على الشخص، والتي يفضل أن تتم تحت ناظري الطبيب المختص، لمراقبة العلامات الحيوية، والتدخل السريع في حال حدوث بعض المضاعفات.
- إعادة التأهيل النفسي والسلوكي، لا بد من إقامة بعض الجلسات العلاجية بعد الانتهاء من مرحلة سحب السموم من الجسم، لمساعدة الشخص على العودة لحياته وعمله مرة أخرى، بعيداً عن المادة المخدرة، والسعي الحثيث على الحصول عليها.

- ويفضل كذلك متابعة المدمن بعد التعافي والشفاء، فقد لا تقل مرحلة المتابعة بعد العلاج أهمية عن المراحل السابقة.

* * *

○ علاج إدمان القات بالأعشاب:

ما زال علاج إدمان القات بالأعشاب قيد الدراسة العلمية والبحث، ولكن قد لا يمكن السيطرة على بعض الأعراض الانسحابية، إلا بواسطة بعض الأدوية العلاجية، مثل المهدئات والمنومات وغيرها.

* * *

○ كيف تبطل مفعول القات قبل تحليل المخدرات؟

على الرغم من اشتهاً بعض الوسائل بين متعاطي القات، لتفادي النتيجة الإيجابية في تحليل المخدرات، مثل: شرب الكثير من الماء قبل الذهاب لإجراء التحليل، أو وضع بعض الليمون والخل وغيرها من الوسائل، إلا أن جميع هذه الوسائل لا تجدي أي نفع على الإطلاق، ولا بد من التوقف عن التعاطي قبل إجراء التحليل بفترة، للحصول على نتيجة التحليل السلبية.

* * *

○ أسئلة شائعة:

غالباً ما يزرع القات في اليمن وبلاد القرن الأفريقي، ويهرب للكثير من الدول الأخرى، لهذا اشتهار تعاطي هذه النبتة وإدمانها، والتعرض لمخاطر تناولها المستمر، لهذا تثار العديد من الأسئلة حول القات، وكيفية علاج إدمانه، ودعنا نستعرض أبرزها الآن.

▪ مخاطر تعاطي القات على المدى البعيد؟

على المدى البعيد، قد يؤدي تعاطي القات إلى أمراض القلب والشرابين، وإلى اضطرابات الجهاز الهضمي الشديدة، مثل الإمساك وغيرها.

▪ هل من المهم أن يتسبب تعاطي القات في الإصابة ببعض أنواع السرطانات؟

في الواقع قد يؤدي تعاطي القات إلى الإصابة بسرطان الفم خصيصاً، وغيره من الأنواع الأخرى.

▪ هل يمكن علاج إدمان القات بالأعشاب؟

قد يؤدي التوقف المفاجئ عن تعاطي القات، إلى ظهور الكثير من الأعراض الانسحابية النفسية والجسدية كذلك، لهذا قد يفضل علاج إدمان القات في المستشفى العلاجي المختص، دون اللجوء

للوصفات الشعبية، التي قد تؤدي إلى العديد من الأعراض الجانبية الأخرى.

▪ كيف أتخلص من إدمان القات؟

يمكن التخلص من إدمان القات، عن طريق التوقف عن التعاطي، والبدء برحلة علاج إدمان القات في أحد مستشفيات علاج الإدمان، والمرور بكل مراحل العلاج، مع استمرار المتابعة بصفة دورية بعد العلاج.

▪ كم تستمر أعراض الانسحاب من القات؟

تستمر فترة إزالة السموم التي تظهر فيها أعراض الانسحاب من المخدر، لفترة من ٧ إلى ١٥ يومًا.

▪ كيف أنظف جسمي من القات؟

يتم تنظيف الجسم من القات، عن طريق التوقف عن تعاطي القات، والبدء برحلة علاج الإدمان في مستشفيات علاج الإدمان، والمرور بكل مراحل العلاج، مع استمرار المتابعة بصفة دورية بعد العلاج.

▪ كيف أتخلص من أكل القات؟

يتم التخلص من أكل القات، عن طريق التوقف عن تعاطي القات، والبدء برحلة علاج الإدمان، والمرور بكل مراحل العلاج، مع استمرار المتابعة بعد العلاج.

▪ كم يحتاج الجسم للتخلص من القات؟

يحتاج الجسم لفترة من ٧ ل ١٥ يوم لسحب سموم مخدر القات من الجسم، ويحتاج لفترة من ٤ إلى ٧ شهور للعلاج النفسي والتأهيل السلوكي.

▪ ماذا يجس متعاطي القات؟

يشعر متعاطي القات بالآتي:

- النشوة والسعادة.
- زيادة النشاط.
- الشعور باليقظة.
- قلة التركيز.
- الشعور بتغيرات مزاجية.
- الشعور بالقلق والتوتر.
- هلاوس سمعية وبصرية.

- الشعور بالاكتئاب.
- زيادة في ضربات القلب.
- ارتفاع ضغط الدم.
- اضطرابات في الجهاز الهضمي.
- الشعور بالتهيج.
- الشعور بآلام في المعدة.

■ ما هو بديل القات؟

يحتوي القات على عناصر مخفزة، مثل: الكاثين والكاثينون، حيث يعتبر أي عقار يحتوي على هذه العناصر المركبة بديل للقات، مثل: الأمفيتامينات، الكوكايين، النيكوتين، الكافيين، مخدر الآيس.

■ كيف أنهى مفعول القات؟

يتم نهاية مفعول القات من الجسم عن طريق التوقف عن تناول مخدر القات، والبدء في علاج الإدمان.

■ هل القات منشط أم مخدر؟

يعتبر القات من المنشطات؛ لأنه يحتوي في تكوينه على عناصر مخفزة، مثل الكاثين، وهي تركيبات تتشابه مع مركبات الأمفيتامينات المنشطة، ويتم استخدامه في كثير من الدول كمنشط جنسي.

■ هل يمكن مكافحة القات؟

نعم يمكن مكافحة القات، عن طريق التوقف عن تعاطي القات،
والبدء بعلاج إدمان القات، والمرور بكل خطوات العلاج.

■ لماذا لا أنام بعد القات؟

- يؤثر القات على جميع أجهزة الجسم ويسبب لها الضرر،
ويؤثر بشكل كبير على النوم؛ لأن تناول القات يؤدي إلى
اضطراب النوم في الليل، والشعور بالكسل والنعاس في
النهار.

- لا تجعل فوائد مخدر القات المؤقتة تخدعك وتسحبك إلى
دوامة الإدمان، وتذكر أنه كلما بادرت في العلاج، كانت
النتيجة أفضل^(١).

* * *

(في الأخير أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون قد وفقني بإخراج
هذا الكتاب إلى الشكل المطلوب والمفيد، والله وراء القصد، وهو الهادي
إلى سواء السبيل).

☆ ☆ ☆

(١) المصدر: مستشفى إشراق.

• قائمة المصادر:

■ كتب مخطوطة:

(١) البركاني، سلطان نعمان، غاية المفتخر في مناقب أعلام وأعيان ذخر. (مخطوط).

■ كتب مطبوعة:

(٢) الأهل، ماجد بن عدنان، ديوان القهوة، الناشر: دار صوفيا - الكويت، الطبعة:

الثانية، ٢٠٢٢م.

(٣) الباشا، محمد، الكافي "معجم عربي حديث"، الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر -

بيروت، طبع سنة ١٩٩٢م.

(٤) الرجاني، أمين، ملوك العرب، الناشر: دار الجبل - بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٩٨٧م.

(٥) الزلب، عبد الله علي، ثقافات القات في اليمن .. مقارنة سوسولوجية، الناشر: مؤسسة

العفيف الثقافية - صنعاء، الطبعة: الأولى، أغسطس ٢٠٠١م.

(٦) الشوكاني، محمد بن علي، الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحقيق محمد صبحي

حلاق، الناشر: مكتبة الجبل الجديد - صنعاء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٧) غريال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،

طبع سنة ١٩٦٧م.

(٨) كتاب الإحصاء الزراعي السنوي، للأعوام: (٢٠٠٠، ٢٠٠٥، ٢٠١٠، ٢٠١٤،

٢٠١٩، ٢٠٢١، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣م).

(٩) للحمي، أديب؛ سلامة، البشير، وغيرهم، معجم اللغة العربية، الناشر: دار الحيط -

بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.

- ١٠) محرم، إسماعيل عبد الله، ظاهرة القات في اليمن، الناشر: مطابع ذمار للأوفست - ذمار، الطبعة: الأولى، إبريل ٢٠٠٠م.
- ١١) المخلافي، عبد الفتاح بن محمد، مرآة المعتبر في فضل جبل صبر، تحقيق: محمد علي الأكوع، الناشر: المعمل الفني للطباعة والتجليد - تعز، اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ١٢) المرزوقي، د. أحمد؛ أبو خطوة، د. أحمد نبيل، القات، الناشر: شركة تهامة للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٣) المغلس، نور الدين مفضل؛ المغلس، محمد أمين، بحث: التوقعات المستقبلية للمساحات المزروعة لشجرة القات وآثارها الاقتصادية على زراعة بقية المحاصيل، كلية الزراعة - جامعة صنعاء، ٢٠٢٠م.
- ١٤) النجار، إسماعيل محمد، ظاهرة القات والصحة العامة والفموية، الناشر: النبراس للطباعة والنشر - صنعاء، الطبعة: الأولى، ٢٠٢٣م.

■ الشاملة الذهبية:

- ١٥) أبو العزم، عبد الغني، معجم المغني.
- ١٦) أبو عبد المحسن، موسوعة الرد على الصوفية.

■ المجلات:

- ١٧) بن غازي، عبد الرحمن، الاقتصاد السياسي للقات والأمن الغذائي، مجلة كلية التجارة والاقتصاد - عدد خاص - أبحاث المؤتمر العلمي الخامس، ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م، العدد: (١٧) سبتمبر ٢٠٠١م.
- ١٨) مجلة الرسالة، العدد: ٧٥.

١٩) مجلة سيدتي: العدد: (٤٧)، عام ١٩٨٢م؛ العدد: (٤٨)، عام ١٩٨٢م.

■ النت والقنوات وغيرها:

٢٠) بعض المواقع على شبكة الإنترنت.

٢١) قناة BBC في بريطانيا.

٢٢) قناة الجزيرة القطرية.

٢٣) قناة مكافحة القات.

٢٤) مستشفى إشراق (القاهرة).

٢٥) مستشفى التعافي للطب النفسي (القاهرة).

٢٦) مؤسسة يمن بلا قات.



المؤلف في سطور:

الأستاذ/ إبراهيم أحمد أحمد مهيب الجبّحي:

تاريخ ومكان الميلاد: بني بكاري، جبل
حبشي، محافظة تعز ١٩٦٢م.

الحالة الاجتماعية: متزوج، له خمسة أولاد: ثلاثة ذكور وبنتان.

العنوان: الجمهورية اليمنية — صنعاء.

• حياته العلمية والعملية:

- ✓ ابتدائية عامة، مدينة عدن، ١٩٧٦م.
- ✓ إعدادية عامة، مدينة عدن، ١٩٧٩م.
- ✓ ثانوية عامة، مدينة تعز، ١٩٨٢م.
- ✓ ليسانس شريعة وقانون، جامعة صنعاء، ١٩٨٩م.

• المستوى الوظيفي:

- ✓ موظف رسمي في مصلحة الضرائب منذ ٥ يناير ١٩٨١م،
وحتى الآن.

✓ الدرجة الثالثة (درجة مدير عام) منذ عام ٢٠٠٤م، بموجب فتوى الخدمة المدنية، وقرار رئيس مجلس الوزراء رقم: (٣٨٣٦) بتاريخ: ٩ / ١٠ / ٢٠٠٤م.

✓ الدرجة الأولى (درجة وكيل وزارة)، بموجب فتوى الخدمة المدنية لعام ٢٠١٣م.

• الوظائف التي شغلها في مصلحة الضرائب ومكاتبها منذ عام

١٩٨١م وحتى الآن:

✓ خدمة الدفاع الوطني بعد التخرج من الثانوية العامة ولمدة عام سنة ٨٢ / ١٩٨٣م.

✓ خدمة التدريس الإلزامي بعد التخرج من الجامعة ولمدة عام سنة: ٨٩ / ١٩٩٠م.

✓ مختص في مكتب ضرائب محافظة تعز كموظف رسمي منذ ٥ يناير ١٩٨١ / ١٩٨٢م.

✓ مختص بإدارة المتابعة والمراجعة بالإدارة العامة للضرائب غير المباشرة بديوان عام مصلحة الضرائب عام: ١٩٨٤ / ١٩٨٨م.

✓ رئيس قسم المكاتب الأخرى بإدارة المتابعة والمراجعة بالإدارة العامة للضرائب غير المباشرة بديوان عام مصلحة الضرائب

بموجب قرار رئيس مصلحة الضرائب رقم: (٥) لعام:

١٩٨٨ / ١٩٩٠ م.

✓ رئيس قسمي (الربط والتحصيل) و (المراجعة والتسجيل) في

إدارة القات بمكتب ضرائب أمانة العاصمة بموجب قرار رئيس

مصلحة الضرائب رقم (٢٦٧) لعام: ١٩٩٠ / ١٩٩٢ م.

✓ مدير إدارة ضريبة القات بمكتب ضرائب محافظة صنعاء

بموجب قرار وزير المالية رقم: (٥٥٢) لعام: ١٩٩٢ /

١٩٩٥ م.

✓ مدير إدارة الربط والتحصيل بالإدارة العامة لضريبة القات

بديوان عام مصلحة الضرائب بموجب قرار وزير المالية رقم:

(١٨) لعام: ١٩٩٥ / ٢٠٠٧ م.

✓ نائب مدير عام ضريبة مبيعات القات بديوان عام مصلحة

الضرائب، بموجب قرار وزير المالية رقم: (١٠٢) عام

٢٠٠٧ م.

✓ مدير عام ضريبة مبيعات القات بديوان عام رئاسة مصلحة

الضرائب بموجب قرار وزير المالية رقم: (٦٨)، بتاريخ: ٢ /

٤ / ٢٠١٤ م.

✓ مستشار رئيس مصلحة الضرائب وعضو مجلس المصلحة منذ

شهر يونيو ٢٠١٦ م.

• الدورات التدريبية:

- ✓ دورة في مجال ضريبة الأرباح التجارية - مصلحة الضرائب.
- ✓ دورة في مجال ضريبة كسب العمل - مصلحة الضرائب.

• إضافة إلى ما سبق ذكره:

فقد بدأ الأستاذ إبراهيم تعليمه الأولي في مسقط رأسه، وفي عام ١٩٧٢م، وهو في سن العاشرة من عمره، انتقل إلى مدينة عدن، وذلك للعيش في كنف والده المقيم هناك، ومواصلة التعليم، وهناك اندرج في سلك التعليم النظامي، وأتم المرحلتين الابتدائية والإعدادية، إلى جانب قيام والده بتدريسه وتحفيظه للكثير من الدروس الدينية والعربية، فأخذ عنه في القرآن وعلومه، وفي الفقه والحديث، ومن ذلك: أحكام التجويد، وسفينة النجاة، ومتن الزبد، والأجرومية، وشيئاً من التفسير، والسيرة النبوية، وغيرها.

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٧٩م، عاد إلى مدينة تعز، واستمر بمواصلة التعليم، حتى حصل على شهادة الثانوية العامة عام ١٩٨٢م وفي أثناء دراسته في تعز، بدأ مشواره العملي موظفاً في مكتب ضرائب المحافظة عام ١٩٨١ م، وكان يعمل في الصباح ويدرس في المساء.

وبعد تخرجه من الثانوية العامة التحق بخدمة الدفاع الوطني لمدة عام حيث تم توزيعه على دائرة التوجيه المعنوي للقوات المسلحة، فأرسل إلى منطقة باب المندب محافظة تعز للتدريس في أحد الألوية العسكرية هناك.

وفي عام ١٩٨٤م، انتقل إلى العاصمة صنعاء لمواصلة الدراسة والعمل فالتحق بنفس العام بجامعة صنعاء، كلية الشريعة والقانون، وبنفس العام أيضاً عاد للعمل في رئاسة مصلحة الضرائب بصنعاء حيث كان يعمل في الصباح ويدرس في المساء. واستمر في العمل والدراسة حتى حصل على الشهادة الجامعية (ليسانس شريعة وقانون) عام ١٩٨٩م.

وبعد التخرج من الجامعة، أدى خدمة التدريس الإلزامي لمدة عام بمدرسة النور في مسقط رأسه بني بكاري جبل حبشي، محافظة تعز.

وبعد الانتهاء من خدمة التدريس، عاد إلى صنعاء لمواصلة العمل في رئاسة مصلحة الضرائب، وخلال سنوات عمله في الضرائب انتقل للعمل في أكثر من مكتب من مكاتب الضرائب حيث عمل في بداية توظيفه في مكتب ضرائب محافظة تعز، ثم في رئاسة مصلحة الضرائب بصنعاء، ثم في مكتب ضرائب أمانة العاصمة، ثم في مكتب ضرائب محافظة صنعاء، ثم عاد للعمل في رئاسة مصلحة الضرائب بصنعاء وحتى الآن.

• من مؤلفاته المطبوعة:

- القات.. الأضرار الفادحة والحلول الناجحة. وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.
- قصائد إنشادية دينية وأدعية.
- نفحات نورانية من الموشحات الدينية.
- كتاب عن: برنامج مقام شهر رمضان المبارك.

- إضافة إلى مساهمته في جمع مواد وطباعة كتابي والده:
 - (الفيض الموهوب) في مناقب العلامة الشيخ أحمد بن أحمد مهيوب الجبّحي، إعداد: الأستاذ سلطان نعمان البركاني.
 - (تبصير الفؤاد) بخطب الوعظ والإرشاد تأليف الشيخ أحمد بن أحمد مهيوب الجبّحي، جمع وتنضيد وإخراج: الأستاذ سلطان نعمان البركاني.
- والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

الفهرس:

الصفحة	الموضوع
٥	إهداء.....
٦	شكر وتقدير.....
٧	مقدمة.....
١١	الفصل الأول: القات
١٣	القات .. مواطنه، والاحتياجات البيئية لزراعته.....
١٣	لحة تعريفية بالقات.....
١٥	البلدان التي يزرع فيها القات.....
١٥	الاحتياجات البيئية لزراعة القات.....
١٨	الجدور التاريخية للقات.....
١٨	استخدام القات كنبات طبي.....
١٩	اكتشاف القات كمادة مكيفة ومنشطة.....
٢٠	بروز القات كمشكلة عالمية.....
٢٣	القات في اليمن.....
٢٣	دخول القات إلى اليمن.....

٢٧	 القات في رحلة البعثة الدانمركية التي زارت اليمن
٢٨	 كتابات الباحثين الأوروبيين عن القات
٣١	 أنواع القات في اليمن
٣٣	 مناطق زراعة القات في اليمن
٣٤	 توسع زراعة القات
٤٠	 استخدام القات في اليمن كمادة منشطة ومكيفة
٤١	 أسباب انتشار القات في اليمن
٤٩	 أوقات تعاطي القات في اليمن والطقوس اللازمة لذلك
٥٢	 مشكلة القات في اليمن اقتصادية اجتماعية ثقافية
٥٦	 علاقات مجالس القات بالسياسة والصحافة
٥٨	 استهلاك القات بين الشرائح الاجتماعية المختلفة
٦١	 النساء وتعاطي القات
٦٦	 الأطفال والقات
٦٧	 الطلاب وتعاطي القات
٦٨	 هل تستفيد الدولة من القات؟
٧٠	 التخلص من زراعة القات، أو الحد من استهلاكه
٧٢	 دور المنظمات الجمعيات في التخلص من القات
٧٥	 القات من الناحية العلمية

٧٥	 من أعراض مضغ أوراق القات
٧٨	 تأثير القات الفسيولوجية على الجسم
٨٠	 تأثيرات القات على متعاطيه
٨٧	 موقف الشريعة من القات
٨٨	 الفتاوى التي تحل تعاطي القات
٨٩	 الفتاوى التي تحرم تعاطي القات
٩٢	 القات والشعر
١٢٣	 تأثيرات القات الاجتماعية، وجوانبه الإيجابية
١٢٣	 التأثيرات الاجتماعية للقات
١٢٤	 الجوانب الإيجابية للقات
١٢٦	 ومن فوائد القات

١٢٧ الفصل الثاني: أضرار القات الفادحة

١٢٩	 الأضرار الصحية
١٢٩	 التركيب الكيميائي للقات وتأثيره على صحة الإنسان
١٢٩	 التأثيرات على الأسنان ومشاكل الفم
١٣٠	 القات والتأثيرات الفموية
١٣١	 تأثير القات على أنسجة الفم والأسنان

١٣٥		الخراجات اللثوية.
١٣٥		التأثير السُتّي التراكمي على اللثة والأسنان، وتشوه الأجنة.
١٣٦		تشبيط مناعة الخلايا الفموية.
١٣٧		تقرّخ خلايا أنسجة الفم، وضخامة الغشاء البشري المخاطي.
١٣٨		سرطانات الفم.
١٣٩		جفاف الفم.
١٤٠		القات وعضلات المضغ.
١٤١		تأثير القات على المفصل الفكي الصدغي.
١٤٢		حركة اللسان الإرادية.
١٤٣		تأثير القات والعادات الفموية الأخرى.
١٤٤		تأثير القات على الأسنان.
١٤٥		أثر القات على الجهاز الهضمي.
١٤٧		القات وأمراض الكبد.
١٤٧		تأثيرات القات على القلب والجهاز الدوري.
١٤٨		القات وأمراض الرئة.
١٤٩		أثره على الجهاز البولي والتناسلي.
١٤٩		التأثير الجنسي.
١٥٠		تأثيره العصبي والنفسي.

القات والسرطان.....	١٥١
القات والسكري.....	١٥١
الأرق.....	١٥٢
الأمراض المعدية.....	١٥٢
سوء التغذية.....	١٥٣
الحوادث.....	١٥٤
التأثيرات النفسية.....	١٥٤
نظام التناسل.....	١٥٥
تأثيرات أخرى.....	١٥٦
تأثير المبيدات المستخدمة في زراعة القات على البيئة وصحة الإنسان.....	١٥٧
كارثة القات على البلدان التي تزرعه والمستهلكة له.....	١٦١
الأضرار الاقتصادية والاجتماعية للقات.....	١٧٠
أولاً: المزارعون والبائعون.....	١٧٦
ثانياً: مستعملو القات.....	١٧٨
آثار القات على المحاصيل الزراعية الغذائية والنقدية.....	١٨٢
من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية لاستعمال القات.....	١٨٥
ومن مشاكل القات الاجتماعية.....	١٩٣
ومن الآثار الاقتصادية للقات أيضاً، وخاصة في اليمن.....	١٩٦

٢٠٠	مشاكل القات في اليمن
٢٠٠	تعاطي القات وشبابنا إلى أين؟
٢٠٣	مشاكل تناول اليمنيين للقات في الخارج
٢٠٨	القات في اليمن: عشبة النشوة والخراب الاقتصادي
٢١٤	من مشاكل القات في اليمن

٢١٧ الفصل الثالث: الحلول الناجحة

٢١٩	أسباب تعاطي القات
٢٢١	التخلص من القات؟
٢٢١	خطوات للتخلص من القات
٢٢٢	كيف نتخلص من القات؟
٢٢٥	مقترحات وحلول لمعالجة ظاهرة القات والحد من زراعته
٢٢٥	مقترحات وتصورات لمعالجة ظاهرة القات
٢٢٩	حلول وسياسات للحد من تطوير زراعة القات
٢٣٣	ومن المعالجات اللازمة لظاهرة تعاطي القات: (إعداد برنامج إجرائي على المستوى القومي)
٢٣٤	دور الأماكن الديني
٢٣٤	التنمية الاجتماعية والاقتصادية

٢٣٥	تشكيل مجلس وطني
٢٤٠	ومن المعالجات لمشكلة تعاطي القات: (عن طريق الشكل الفني - الدراما)
٢٤٨	البدائل الاقتصادية لتعاطي القات
٢٤٨	تأثير القات على الاقتصاد والمجتمع
٢٤٩	أهداف المؤتمر
٢٥١	البدائل الاقتصادية لتعاطي القات
٢٥٢	دور الحكومات والمنظمات
٢٥٣	الخاتمة
٢٥٤	طرق مختلفة لعلاج إدمان القات
٢٥٤	من طرق علاج إدمان القات
٢٥٥	علاج إدمان القات بالأعشاب
٢٥٥	كيف تبطل مفعول القات قبل تحليل المخدرات؟
٢٥٦	أسئلة شائعة
٢٦١	قائمة المصادر
٢٦٤	المؤلف في سطور
٢٧٠	الفهرس



نبذة مختصرة من السيرة الذاتية للمؤلف:

- الأستاذ/ إبراهيم أحمد أحمد وهيب الجبيلي.
- تاريخ ومكان الميلاد: بني بكاوي - جبل حبشي - محافظة قصر ١٩٦٢ م.
- الحالة الاجتماعية: متزوج، عدد الأولاد خمسة: ثلاثة ذكور وبنات.
- العنوان: الجمهورية اليمنية - صنعاء.
- المؤهل الدراسي: (ليسانس شريعة وقانون) من كلية الشريعة والقانون - جامعة صنعاء عام ١٩٨٩ م.
- بداية الوظيفة: عام ١٩٨١ م في مكتب ضرائب محافظة قصر.
- المستوى الوظيفي: الدرجة الأولى (درجة وكيل وزارة) بموجب مرسوم الخدمة المدنية لعام ٢٠١٢ م.
- آخر الوظائف التي شغلها مع الدولة:
- مدير عام ضريبة مبيعات القات بديران عام وفاسة مصلحة الضرائب بموجب قرار وزير المالية رقم: (٦٨) بتاريخ: ٢٠١٤ / ٤ / ٢٠ م.
- مستشار رئيس مصلحة الضرائب وعضو مجلس المصلحة منذ شهر يونيو ٢٠١٦ م.